إلى القارئ

في سبيل تبادل ثقافي مباشر منظم بين تونس والجزائر

بقلم : البشير بن سلامه

كان للبرنامج التنفيذي المتعلق بالتعاون الثقافي الفني بين الجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لسنتي 1983 ـ 1984 الممضى في 9 جوان 1983 صداه البعيد في البلدين ذلك أن الظروف التي تم فيها هذا الاتفاق تعد مؤاتية بعد ابرام معاهدة الاخاء والوفاق الموقعة بين البلدين في 18 ماي 1983 وبعد تبادل الزيارات الرسمية بين الرئيسين الحبيب بورقيبه والشاذلي بن جديد .

ولا يخفى ما لهذه المعاهدة من أهمية كبرى في إرجاع العلاقات الجزائرية التونسية الى نصابها بتجاوزها للحدود الاقتصادية والثقافية المصطنعة وباعتبارها تونس والجزائر العمود الفقري لوحدة المغرب العربي لتوسطهما جغرافيا في هذا الجزء الخطير من العالم العربي .

واذا كانت هذه الظروف التي تم فيها إبرام البرنامج التنفيذي للتعاون الثقافي والفني بين البلدين بهذه الاهمية فان جوانب أخرى تجعل هذا العمل يكتسي صبغة جديدة وأبعادا لها خطورتها في تطوير العلاقات وإحكامها .

ولقائل أن يقول : وما هو الجديد في مثل هذه البرامج الثقافية ؟ وهي تعد بالعشرات سواء المبرمة بين تونس وغيرها من بلدان العالم أو بين عدة أقطار أخرى سواء كانت عربية أو أوربية أو أمريكية وآسيوية أو إفريقية . لماذا هذا التأكيد على خصوصيتها وتفردها ؟

نعم هذا الاتفاق جديد في روحه وصياغته والعزيمة المرافقة له في التنفيذ. ذلك أن مثل هذه الاتفاقات لا تعدو في العادة أن تكون تبادلا رسميا في عدة ميادين من الثقافة من إقامة أسابيع ثقافية الى تبادل الخبرات وغيرها أما هذا الاتفاق فهو يرمي الى الخروج من التعاون الرسمي المضبوط بالتواقيت والمدد الى تجاوز الحدود والعمل « على دعم التبادل الثقافي وتشجيع التعاون الثقافي المباشر المنظم بين المؤسسات والاتحادات والفرق وسائر الهيئات الثقافية بالبلدين وكذلك بين البلديات والولايات وخاصة الحدودية منها » .

إن هذا التعاون الثقافي المباشر المنظم (والعبارة واردة في ديباجة الاتفاق) هو الذي سيعمل الطرفان على تجسيمه وإعطائه المحتوى التطبيقي في أقرب الأيام . إذ هو يقتضي أن نزيح العراقيل والحواجز المتأتية من أمرين اثنين يتصلان بواقع مزدوج ما زلنا نعيشه الى اليوم رغم الظروف المؤاتية والعزيمة الصادقة والارادة السياسية التي لا يتطرق اليها الشك والعازمة على تخطي الصعاب وتحدي كل العوائق ولكن العزيمة السياسية وحدها لا يمكن لها أن تحل كل المشاكل الا اذا شخصناها وتعمقنا في جزئياتها وقرأنا حسابا لانعكاساتها المتعددة في ميادين مختلفة .

إن هذا الواقع المزدوج يتمثل في جانبين اثنين من علاقاتنا وهو أننا نعيش على الرواسب التي زرع بذورها الاستعمار بمحاولته قطع كل عوامل التواصل والتعاون الاقتصادية والثقافية . واذا كان الشعبان حاولا بكل ما لديهما من طاقة المحافظة ، أثناء عقود الهيمنة الاستعمارية ، على الروابط الاقتصادية والثقافية فان العراقيل التي وضعها نظام الحماية هنا في تونس ، ونظام « المقاطعة » هناك في الجزائر لم تكن عفوية وهامشية بل تقننت وترسخت إداريا وماليا واجتماعيا حتى تتحول من التعامل الأفقي الطبيعي الى التبادل العمودي القسري ـ جنوب شمال ـ وتحولت بالفعل وبقيت بالطبع روابط الأخوة وصلة الرحم التي لم يقدر الاستعمار على قطعها ولا اجتثاثها .

هذا هو الجانب الاول من العراقيل أما الوجه الآخر من هذا الواقع المزدوج هو أن الدول وخاصة الاسلامية منها لم تكن لها إلا الحدود السياسية الادارية

أما العلاقات الاقتصادية والثقافية والعمرانية والحضارية بصفة عامة فلم تكن موجودة وأوجدتها فى هذا العصر الجديد الدولة « العصرية » التى أصبحت لا تخفاها خافية وتدخلت فى كل دقيقة وصغيرة بحكم ما وفره العلم أو التقنية والتكنولوجيا من وسائل التنظيم واحكام المراقبة وتشديدها وهو أمر يتعلق اليوم بكل دول العالم ولا تخرج عنه ولو دولة واحدة مهما كانت درجة التخلف التى ترزح تحتها . ولقد تجسم مفهوم الدولة العصرية فى القوانين والاجراءات التى تنظم سير الدواليب سواء داخليا أو خارجيا وتعقدت الاجراءات وتنوعت حتى أصبح لا يمكن لأى تبادل مهما كان أن يتم بدون المرور من مسلك ادارى معين أو الاحتياج الى ترخيص من جهة تنظيمية مخصوصة .

هذا الواقع المزدوج فى تعقده وتنوعه هو الذى يقتضى منا جميعا أن نتصدى له بالتعرف الى كل دقائقه وجزئياته وازاحتها من طريق « التبادل المباشر المنظم » حتى نصل الى الغاية التى قصدناها من هذا الاتفاق وهو ارجاع ذاك النسيج الثقافى المتشابك الذى كان موجودا من قبل فى عصور ازدهار الثقافة بهذه الربوع حتى قبل الفتح الاسلامى .

ولهذا فان التبادل الثقافى بهذه الصورة يكتسى جدة لم تعرفها العلاقات منذ استقلال البلدين وستوضع أمامنا مشاكل عديدة تحتاج الى الحل فى عدة ميادين من الثقافة . فكيف سنصل مثلا فى مجال الكتاب والمنشورات الى « تطوير حجم التعاون بين مؤسسات النشر فى البلدين ومنح أولوية خاصة لترويج المنشورات الثقافية التونسية بالجزائر والمنشورات الجزائرية بتونس ضمن الحجم السنوى لتوريد الكتاب فى كلا البلدين » ؟ وما هى الطريقة التى ستمكن البلدين « من توزيع ـ بصفة آلية ـ كمية من كل كتاب يصدر بأحد البلدين لا تقل عن ثلاثمائة نسخة من العناوين الصادرة بالجزائر وحوالى ألف نسخة من العناوين الصادرة بتونس ؟ وكيف سيتوصل الجانبان الى تطوير أساليب التعاون بين مؤسسات التوزيع فى البلدين ووضع وسائل مشتركة وتوخي طريقة موحدة لتوزيع الكتاب المنتج فى البلدين ؟ » هذا فقط ما يطرح على المسؤولين من وجوب النظر الجديد فيما يتعلق فقط

بالكتب والمنشورات الثقافية . ولهذا نص الاتفاق على « تأليف لجنة مشتركة لمتابعة التعاون بين البلدين فى ميدان الكتاب والمنشورات طباعة ونشرا وتوزيعا وتبادلا » .

لا أريد أن أدخل فى التفاصيل الاخرى المتعلقة بالمكتبات والمطالعة العمومية والآثار والمتاحف والادب والموسيقى والفنون التشكيلية والمسرح والتوثيق والدراسات حول التنمية الثقافية والتكوين وحقوق التأليف والتعاون الدولى والسنما ففى كل باب من هذه الابواب نظرة جديدة تتعلق بهذا « التبادل المباشر المنظم » .

وهكذا سننطلق من هذا التشخيص لنوع العلاقات الثقافية الى إرساء الركائز الجديدة وهذا يقتضى من الحكومتين شق الطريق ولكنه يبقى على المسؤولين عن المؤسسات الثقافية سواء الحكومية منها أو الخاصة وعلى الافراد أيضا أن يسلكوا طريق المبادرة وأن يتحلوا بالجرأة لاحكام هذا النسيج والخروج من الاعتماد كليا على المسالك الرسمية والتمسك بروح المغامرة والاقبال على الانتاج والخلق والابداع وتجاوز « المحلية » الضيقة والرنو الى كل ما يحفز على إبراز ثقافة ذات مستوى فى امكانها أن تروج بالبلدين وتلاقى الاستحقاق والتشجيع وهو الضمان الادنى لتكون هذه الثقافة ذات اشعاع عربى ثم إنسانى وهى الغاية القصوى التى يجب أن نرمى اليها فى كل ما نقوم به من مجهود فى الحقل الثقافى .

وإن تطبيق هذا الاتفاق يجب أن يفتح الباب دائما للوصول الى « التبادل المباشر والمنظم » بين بلدان المغرب العربى وهو المنطلق الاساسى فى سبيل أن نوفر فى القريب العاجل الظروف الكفيلة بعقد قمة ثقافية عربية تفتح آفاقا من هذا القبيل للامة العربية قاطبة . وليس هذا على العزائم الصادقة العاملة بعزيز .

البشير بن سلامة

من الينبوع

شعر : محي الدين خريف

ظمئتْ بعدك الشفاهُ الحرارُ (*) وبكى ليلَك الطويلَ النهارُ
عابدًا كنت في محاريب هذا الشعر تُتلى ببابك الاذكارُ
ولهاثا منغما كلهاث الطير . هزت شجونها الأوكارُ
فاذا ما صمت كنت مهيبا واذا ما نطقت غنّى الكنارُ
أبدًا في الوجوه دعوى ابتسامات وفي العمق روضة معطارُ
أتُرى منْ سِواكَ يعرفُ حزنَ الليل .. والليلُ غُرْبَةٌ وسِفارُ ؟
ومَنِ العاشق المدله بالشعر ؟ اذا طال في الدجى الانتظارُ
ذَهَبَ الكلّ لا المغنّي ولا نَجْدُ فأينَ الشذا وأينَ العرارُ
في جراحي وفي جراحِك ترْتاحُ المراثي وتورقُ الأشعارُ
شف قلبُ حملته عنْ هوى المدنفِ ألنوى بقلبه الاعصارُ
واحةٌ تبسط الظلالَ بصحراء . وغصن عليه غنى الهزارُ
مُوجع اللحن تعتريه شكاةٌ جُرحُها في فم الزمان جُبّارُ
مُدلي أحرفَ الضياءِ يغني الحبّ فيها وتعزفُ الاوتارُ
وأعِدْ نغمةً مدلهةً بالصدق تَهْمِي لها الدمُوعُ الغزارُ
وحروفا مُذْهَبَاتٌ كما يَلْمَعُ في معصم الغواني السوارُ

(*) قيلت في أربعينية الشاعر الفقيد : أحمد المختار الوزير .

نبني عنك والحديث طويل والليالي المنعمات قصار
كيف أصبحت في الجنان طليقا في يديك النجوم والأقمار
ألق من ضيا الاله ونور ومكان يطيب فيه القرار
يا مجيب الردى الى دار اخلاد . تساقى كؤوسها الأبرار
عرف الموت كيف يختار والموت كبير النقاد يا مختار
بعدك الشعر صار دعوة افلاس . وجمعا به تدار العقار
وتبدت ألوانه مثلما يعرض في السوق ثوبه القصار
من طويل ومن قصير ومن أحمر قان لباسه الاطمار
وتولى الابداع يشجبه الصمت . ويلوي جناحه التيار
سامه الخسف كل غمر فما يدري أثلج شرابه أم نار
وهو في غيمة الخريف سؤال . عجزت عن جوابه الأمطار
جرحه في القلوب مثل الأخاديد . ومن جرحه الضحايا كثار
صاحب يمنح المرارات والحزن . وتشقى بهمه الأعمار
قد رضينا بما يجود علينا . فله حكمه بما يختار
حسبنا الشعر فهو قوت المحبين . ومن بعده تجف الجرار

محيي الدين خريف

الشابي النبي المعلوم

بقلم : د. محمد عبّازه

قيل عن المتنبي : إنه «ملأ الدنيا وشغل الناس» وها أنا بدوري أطبق هذه المقولة على أبي القاسم الشابي ، الشاعر التونسي الذي أصبح أشهر من علم على رأسه نار . ولا بد في البداية من أن أنبه الى أنني لا أحمل أحقادا على الاحياء فما بالك بالاموات ، وأنني ثانيا لست من هواة نبش القبور . ولكن الظروف حتمت علي كتونسي ان أصحح بعض المفاهيم التي علقت في ذهن التونسيين ـ عن وعي أو عن غير وعي ـ من عباد الشابي . اذ لا بد لي من أن أشير ـ وللتاريخ شواهد على ما أقول ـ أننا نحن العرب بقدر ما نحتقر مثقفينا وهم أحياء بقدر ما نقدسهم ونعظمهم الى درجة تفوق حجمهم الطبيعي وهم أموات . وهذا حسب رأيي ناتج عن سببين :

1 ـ من الممكن أن لا نفهم مثقفينا في عصرهم ولذلك نترك مهمة فهمهم للاجيال القادمة وبالنتيجة نكون متخلفين ذهنيا وفكريا وعقليا بالنسبة لمثقفينا.

2 ـ ان اضطهاد مثقفينا وقمعهم في حياتهم باعتبارهم يشكلون خطورة على السلطة السياسية ، ولكن بعد مماتهم يزول خطرهم ونصبح نكفر عن خطايانا بمدحهم وتعظيمهم وتأليههم أحيانا . وفي كلا الحالتين نلاحظ خطأ فهم العربي للثقافة والمثقف وبذلك نتحمل مسؤولية جسيمة في تخطئة أيضا الاجيال القادمة عندما نكتشف مبالغاتنا وتقييماتنا الخاطئة لمثقفينا .

أنا أرجو ألا يفهم من كلامي أنني ضد من يريد أن ينصب تمثالا لابي القاسم الشابي في احدى ساحات العاصمة او ضد من يريد ان يرسم له لوحة لتعلق في مقر اتحاد الكتاب ، انما والحقيقة تقال أريد فقط ان نجعل الشابي في حجمه الطبيعي ، أريد ان يقيم شعره تقييما موضوعيا ضمن مسار حركة الشعر التونسي المعاصر حتى لا نجني على من عاصره .

قرأت كثيرا عن الشابي وما زلت أقرأ وآخر ما قرأت كان اقتراحا ورد في الملحق الثقافي لجريدة العمل لاحد الاخوان يطرح فيه امكانية تنظيم سنة عالمية للشابي تحت اشراف وزارة الشؤون الثقافية • وقدم الكاتب مقترحات عديدة ومتنوعة ومفصلة في هذا الشأن وله كامل الحق في المطالبة بمثل هذه التظاهرات الثقافية، لكن هل يمثل الشابي كل الشعر التونسي؟ وهل للشابي وأنصاره الحق في أن يغمر الشعر التونسي ويطفو الشابي ؟ الى غير ذلك من الاسئلة التي تخامرني كلما قرأت شيئا عن الشابي •

قبل كل شيء أقول للحقيقة والتاريخ ان الشابي شاعر مثل بقية شعراء عصره وان كان يختلف عنهم في بعض النواحي • والشابي أيضا كان من الشعراء المقلين ـ وهذا أجله المحتوم ـ والقلة في الشعر لئن كانت تعطي فكرة عن الشاعر الا أنها ليست بكافية ولا نهائية •

والحقيقة الثانية التي لا مراء فيها هي أن الشابي غطى كل شعراء عصره وما زال يغطي حتى الآن الشعر التونسي . وهذا الاحساس ينتاب كل انسان زار المشرق العربي وخطر بباله أن يسأل اخواننا هناك عن الثقافة التونسية وبالذات عن الشعر التونسي فيجاب بكل بساطة الشابي ولا نعرف غير الشابي • فيشعر السائل بخيبة أمل ولكن اذا كان لمثقفي المشرق بعض الاعذار اذ من المفروض علينا كتونسيين ان نقوم بدور تعريفهم ـ ونحن مقصرون في ذلك ـ على ثقافتنا وشعرنا الذي أنجب قبل الشابي ومع الشابي وبعد الشابي ، الا أننا نحن كتونسيين أين يكمن عذرنا عندما نركز كتاباتنا ودراساتنا على الشابي فقط ونهمل غيره من الشعراء والنقاد الذين ساهموا في خلق الشابي وحملوا لواء الشعر معه • الى متى نستمر في تقديس هذا الشاعر واعلائه عن بقية الشعراء التونسيين في عصره والعصر الحاضر !؟ وعندما نقوم بهذا العمل نتصور أننا نرفع رؤوسنا ونزيد من أهمية ساحتنا الشعرية والادبية قاصدين بذلك التباهي والمفاخرة أمام المشرق العربي الذي أنجب الكثير من الشعراء وبالتالي ننهال على الشابي مدحا وتعظيما وتفخيما وتكون النتيجة عكس ما نتصور اذ بذلك ندمر أنفسنا ونهمل شعرنا وشعراءنا ونبقى نتسلى ونقدس هذا الشاعر الواحد الاوحد الذي انجبته تونس وأمسكت عن الانجاب . ان تونس أنجبت ولا زالت تنجب وسوف تظل تنجب وعلى التونسيين ان يفهموا هذا • عندما نلقي نظرة ولو سريعة على تاريخ الشعر التونسي المعاصر والحديث نكتشف الخطأ التاريخي الذي ارتكبناه في حق ثقافتنا وشعرائنا هناك الكثير من الشعراء الذين سبقوا الشابي وهناك

الكثير من الذين عاصروه ولربما كانوا أكثر منه نتاجا وأكثر ابتكارا وأشد منه التصاقا بالشعب وقضاياه وللتاريخ نقول اننا اكتشفنا الشابى من خلال اخواننا فى المشرق العربى وكان السبب فى ذلك الاخ أبو القاسم محمد كرو وتحديدا من العراق أين وطدت دعائم شهرة هذا الشاعر ومنها انطلق الى غزو بلاد المشرق عموما التى تنتظر من الاخ الاصغر ـ بلهفة ـ كل ما يصدر عنه وزحف علينا الشابى فى تونس منطلقا من العراق وهنا صعقنا واكتشفنا أن هذه البضاعة بضاعتنا ردت الينا وبدأنا نكتشف الشـابى ونشبعـه درسـا وتمحيصا واختص أبو القاسم كرو فى هذا الميدان وقامت أيضا عائلة الشابى بمثقفيها مطالبة بحقها فى الدرس والتأليف وبالتالى التفخيم والتعظيم ولـم يضعوه في حجمه الطبيعى وبدأ الشابى يرتفع ويرتفع اسراء ومعراجا لامتناهيا حتىأصبح كالمنطاد وبدانا نبالغ فيثورتهوتجديده والتزامهحتىأصبحبرومثيوس الشعب التونسى ، اله من آلهة هذا الشعب التى لا تقبل القدح ولا الذم ولا النقد فهى أرفع من مستوى البشر . لماذا انسقنا وراء هذه الوحدانية الكاذبـة والتوحيد فعلا مفهوم اسلامى طبقه مثقفو الاسلام ـ لارتباط الثقافة الاسلامية بالمساجد ـ على ثقافتنا : الاله واحد والنبى واحـد والخليفـة واحد والشعـر واحد والقصيدة واحدة كل خروج عن هذه الوحدانية يعتبر هرطقة وكفرا والحادا ونحن فى العالم العربى أحوج ما نكون الى التعددية فى الآراء فى الفكر ، فى الشعراء لان التعدد يثرى والتوحيد يفقر ، والعبارة لجمال الدين بن شيخ .

مفهوم التوحيد يلاحقنا دائما من السلطة السياسية الى الثقافة الى الادب الى الشعر ، وعندما نريد أن نصل إلى هذا التفرد والتوحيد نلجـأ الى صيـغ المبالغة التى أصبحت خاصية من خصائص العرب وأفعل التفضيل تستعمل كثيرا وتستهلك كثيرا فهذا أعظم شاعر وهذا أكبر قائد ، وذاك أول مطرب والآخر اكبر شاعر وتلك سيدة الغناء وهذا رب العود الى غير ذلك من هذه العبارات التى تعشقها الاذن العربية ، اذن الحقيقة التى لا مفر منها حتى أننا نقدس التعظيم ونعبد التفضيل ، منذ عهد عنترة ومرورا بعهـد المتنبى وابـن هانىء الى عهد شوقى والشابى والسلسلة متواصلة والمبالغة كانت وما زالت محبوبة فى الشعر العربى ولم تكن أبدا عيبا من عيوبه وأصبحت بذلك صفة تميزهم عن بقية الشعوب .

وعلى هذا الاساس والشعر ديوان العرب عشقنا الطبل وأهملنا العود كآلة موسيقية بدأنا نعبد المدح والمبالغة ولم نهتم بالتقييـم الموضـوعى ، خلقنـا وواصلنا الكلام بالعاطفة بعيدا عن النظرة الموضوعية للاشياء ولربما كان ذلك

ناتجا عن طبيعتنا التي تهوى المبالغة وتنفر من الحقيقة ، تحبذ اعطاء القاب تفوق الحجم الطبيعي للشخص الذي نتعامل معه • كل أحكامنا التي نصدرها تتسم بالعاطفية والارتجالية ولذلك عندما نقرر أن ندرس أديبا ما ندخل وعندنا فكرة مسبقة عن الشخص الذي ندرسه اما ان نكون من اول وهلة معه وبالتالي نصبغ عليه القابا وأوصافا مغالية في المدح واما أن ندخل ونحن نحمل فكرة ضده والنتيجة تكون ان نمسح به الارض ونمرغه في التراب انطلاقا من موقفنا العدائي المسبق ، فمن طبعنا الا ندخل موضوعا بنزعة حيادية اذ الحياد لا نعرفه ولا نريد ان نتعلمه • ألم يحن الوقت بعد لان نتعلم أن من ضرورات البحث أن نعطي لكل شخص ماله وما عليه اذا أردنا فعلا أن نرقى بدراساتنا الى مستوى نستطيع من خلاله أن نقنع قارئنا بما نقول .

تشنج أعصاب الباحث هو الذي يجرنا الى مهاترات ومبالغات يمكن تجنبها عندما نتشبع بالروح العلمية ولكن أين الروح العلمية من تلك الاحكام التي تطلق على الشابي من أنصاره وأعدائه !؟ فالاوائل وضعوه في مصاف هميروس ودانتي وشكسبير أو حتى أكثر من ذلك ، وأما الاعداء فقد قالوا ان الشابي مات ولم يترك سوى بيتين من الشعر :

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر !
ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر ..

الخطأ بين عند الاتجاهين ومن الضروري ان نغير مثل هذه المواقف •

أنا شخصيا لقد سمعت الكثير والكثير عن الشابي وعن شعره «الذي لا يزال ينير درب الشعب التونسي والامة العربية والانسانية جمعاء» • هل أصبح الشابي نبي القرن العشرين الذي جاء رحمة للعالمين في شتى أصقاع الارض ؟ لماذا هذه المبالغة التي لا تفيد الشابي وشعره ولا الشعر التونسي ولا النقد المنهجي ؟ اذ لابد أن يلقى هذا الكلام عرض الحائط في يوم من الايام وأن يعاد تقييم شعر الشابي بنظرة موضوعية علمية في مساق دراسة الشعر التونسي عموما • واذا أردنا أن نرقى بحركة النقد ، اذا أردنا فعلا أن نخلق شعرا حديثا يجاري العصر والحضارة ، يستطيع التعبير عن الازمات التي يعيشها الانسان العربي المعاصر وخاصة التونسي الذي يعاني أزمة تحول اجتماعي اقتصادي سياسي حادة لا بد لنا من اعادة النظر فيما نقول عن الشابي وأن نبتعد عن هذه التصرفات التي تدل على ضآلة الانتاج وضحالة الفكر والثقافة

في تونس « إذ أن ضآلة الانتاج في ذلك العهد لم تحملهم على العناية بنقده أي نقد الانتاج الادبي ، وا نتقدوا أخذوا بالعاطفة أو بالغلو في التعميم أو تسرعوا في الحكم أو أكثروا من المدح والاطراء عند ايراد المحاسن او القدح والازراء عند ايراد المساوىء او تأثروا في مقاييسهم بما بينهم وبين من ينتقدون كلامه من مودة او موجدة او حب او بغضاء اما بما يؤملون لديه من نفع او يخشون من مضرة ...» (1)

هذه النظرة التأثرية الانطباعية التي نتعامل بها مع الشابي ينبغي ان تستبدل بمنهج نقدي أكثر تقدما وأكثر علمانية .

اعتمادا على ما قلت سابقا ، واذا عدت للشابي وشعره المتشبع بالروح الرمانسية فانني واضع الشابي في حجمه البشري الطبيعي بعيدا عن المبالغات الفارغة مع مجموعة ساهمت بدور كبير في خلقه وابداعه صحبة شعراء خلفوا لنا شعرا تونسيا يحق لنا أن نجعله من جملة تراثنا الشعري الذي لا يقتصر على شعر الشابي فقط وانما يعتبر الشابي بحق رافدا من روافده . ان محاولات الاصلاح التي قامت في أواخر القرن التاسع عشر بقيادة خير الدين باشا ومحمد بيرم وابن أبي الضياف ومحمود قابادو والتي هيأت العقلية التونسية لتقبل الجديد في الافكار والثقافة والعلم ، اتت ثمارها منذ بداية القرن العشرين . ومما ساعد على انتشار هذه الافكار التجديدية الصحافة التي دخلت البلاد التونسية بعنف مؤثرة على العقول ومثيرة النفوس ومحركة الهمم حتى يستطيع التونسي مسايرة ركب التقدم ومتابعة الافاقة الحضارية التي أصبحت تهز كيان المجتمعات العربية الاسلامية منذ العشر سنوات الاولى من القرن العشرين وفي الصحافة الادبية التي بدأت بالظهور والانتشار نرى تهجمات على الشعر التقليدي وعلى محمود قابادو بالذات ممثلا للنموذج الشعري التقليدي «ديوان قابادو أفشل عزائمنا وأدخل الريب في قلوبنا حتى كدنا نتحقق أن شعراء الازمنة المتوسطة وهم لم ينالوا شهرته، لاهم ولا شعرهم يسمى شعرا الا في عرف البسطاء القاصرين ولو أراد القراء مشاطرتنا أسفنا على حصول الشهرة دون دواعيها ...» (2)

---

(1) صليبا ، جميل : اتجاهات النقد الحديث في سوريا . معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1969 ص ـ 12 .

(2) ورد هذا المقال بقلم نقاد ـ جريدة اظهار الحق 7 مارس 1909 . انظر كتاب محمد الصالح الجابري الشعر التونسي المعاصر 1870 ـ 1970 ـ الدار التونسية للنشر 1974 ـ ص 78 .

بدأت الحملة على القديم اذن منذ بداية القرن العشرين وبدأ جيل الشباب يطرح أفكارا جديدة وشعرا جديدا ونظرة تقييمية جديدة للشعر والشعراء وبدأ الشباب يطرح أفكارا مغايرة للموروث وتنظيرات للشعر «العصري» كنقيض للشعر التقليدي او الشعر القديم وحدد مفهومه فى مجلة خير الدين كالآتي «التأثير على الهمم وتنبيه الاحاسيس الشريفة فتهب الى القيام بواجب الحياة» ويعني أيضا : «دعوة الامة كي تفيق من مرقدها وتحس وتشعر وتنهض...»(3) حسب تعبير جريدة اظهار الحق ، فالشاعر الحق «هو الذى تتفجر المعاني من قريحته فيزنها بميزان المرسن ويصوغ لها على قدرها قوالب من الالفاظ والتراكيب كاحسن صائغ للحلي وأمهر سباك للمعادن كلما شعر بشأن صوره بقلمه كما يحسن نقله بدون تهافت منه على ترصيع الكلام «بجواهر البديع وتدبيجه بحلل المجاز والتشابيه» حسب رأى عبد العزيز المسعودي فى مجلة السعادة العظمى (4) .

هكذا بدأت تطرح مفاهيم جديدة للشعر ، بدأ المنظرون للشعر يدعون الى الابتعاد عن المحسنات البديعية التى كانت من المقاييس المتبعة فى تقييم الشعر والشعراء بدأ الحث على ايجاد شعر بسيط صاف وخال من كل الزخارف التى علقت بالشعر العربي فى عصور الانحطاط . أصبح المطلوب من الشعر أن يعبر عن خلجات النفس بعيدا عن الشكليات والقوالب الفارغة التى تآكلت عبر الزمن ، لكن هذه المحاولات التجديدية كانت تصطدم بالقديم ، بالافكار التقليدية المترسخة فى الاذهان والجهل الذى يعشش فى عقول التونسيين وحجب عن أذهانهم تذوق الجديد والتحمس اليه . وهذا أحد الشعراء وهو صالح بن على النجار القيرواني يشكو من الجهل الذى كبل التونسيين :

لقد فقدوا الاحساس والرأى والحجا	ولم يبق فيهم من اليه تترجم
فكيف تناجيهم وتحسب أنهم	قد انتبهوا والجهل قد ساد فيهم
فقل لى يا أخى ماذا يكون دواؤهم	وهل ينفع العقار اذ هم تحزموا (5)

---

(3) الجابرى ، محمد الصالح ـ الشعر التونسي المعاصر 1870 ـ 1970 الدر التونسية للنشر 1874 ص 82 .

(4) الجابرى ، محمد الصالح نفس المصدر ص 84 .

(5) قصيدة نشرت بالصواب 23 مارس 1911 . محمد الصالح الجابرى نفس المصدر ص 191 .

ان الجهل الذى يخيم على عقول التونسيين والذى ضرب على أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون الجديد ولا يتذوقونه . ظاهرة الجهل لم يفهمها الشابى فكانت سببا من أسباب انسحابه وهروبه وانهزاميته فى ميدان المعركة التى كان ينبغى ان تطول وتطول والنصر فيها سيكون حليف الصامدين ، ان حياة الشعب التونسى وما يقاسيه من ظلم وعبودية ، من جهل وفقر صورها شاعر شعبى من القيروان أصدق تصوير :

صنايعنا ماتو
وجاع الفقير وعيلتو وبناتو
بر النصارى جلب ماكيناتو
والجهل راه عمى لنا عينينا (6)

هذه حال الشعب التونسى الذى لم يفهم الشابى وهو محق فى ذلك اذ كيف يفهم الشعر الذين لا يعلمون والذين يعيشون حياة مليئة بالتعاسة والجهل وكان من المفروض على الشابى أن يقوده الى ما فيه الخير والصلاح والرشاد ، فالمدينة عظيمة بشعرائها كما يقول ناظم حكمت والشاعر رائد فى كل العصور والريادة تتطلب من جملة ما تتطلبه الثقة بالنفس وبالمستقبل وبالشعب . وتستمر التنظيرات النقدية وتزداد وضوحا وتتطور نحو الرديكالية فهذا عبد العزيز المسعودى الذى ينادى بالشعر العصرى ونبذ الشعر القديم ومثل هذه التنظيرات هى التى هيأت ظهور الشابى « وبعضهم سلك مسلك الاهاجى فى الوقت الحاضر ومدح الاقدمين وتوصل بها الى تقبيح حال المجتمع فى عيون ذويه حتى كان أدعى الدواعى الى فقدان الامل العمومى » . (7) مما سبب الانهزامية والتشاؤم بمستقبل هذا الشعب الذى يعانى ويلات الاستغلال والفقر والجهل . فالشعر حسب رأى عبد العزيز المسعودى لم يعد فيه مكان للمدح والهجاء والفخر بل ان رسالته تجددت فى ظل هذه الظروف « فالشعر معنى عظيم يدرك بالوجدان..وإن الذين حصروه فيما عرفوه به ضيقوا واسعا وجعلوه اسما على غير مسمى» ويضيف «ولكتاب الافرنج ومن قلدهم من كتابنا المعاصرين أساليب غير متعارفة من قبل فى الكتابة الشعرية منها استعمال (الشعر فى النثر) فترى الكاتب يوزع انواعا من الكلام مختلف

---

(6) نشرت بجريدة «أبو نواس» 30 أوت 1909 وردت عند الجابرى ص 88 .
(7) الجابرى محمد الصالح نفس المصدر ص 71 .

المواضيع فوق لوح النخيل ليركب منها الجملة المطلوبة له فى غرضه المخصوص كما يفرغ الرسام انواعا من الادهان المحلولة لايجاد اللون المناسب لرسم شكل أحب ترسيمه ». (8)

ان هذه الرؤية السابقة لاوانها والمتقدمة جدا بالنسبة لعصرها لامتزاج الفنون الجميلة ببعضها البعض وتلك المقارنة الراقية والشفافة بين الشعر والرسم جاءت غاية فى الروعة وغاية فى الشاعرية فقيم الشعر العصرى ينبغى أن تكون القيم البديلة لما يطرحه الشعر التقليدى وأن يكون المفهوم الجديد مماشيا لروح العصر الذى ينتجه فهو «تنبيه الاحاسيس الشريفة فينا (الشعر العصرى) الذى يكسب النفوس تحمسا ويذكرها بالنخوة والشهامة فتهب الى القيام بواجب الحياة وتسعى لنوال الخيرات وأكثر ما يكون الشعر **الرقيق** مؤثرا فى الامم التى لها **شعور رقيق وادراك لطيف** . ولا نقول باطلا ، اذا أدخلنا فى زمرة هذه الامم شعبنا التونسى الذى اثبت التاريخ رسوخ قدمه فى الادب وبراعته فى الفنون غير أنا نعترف بتقاعس أبناء العصر عن قدح زناد أفكارهم الذى **لا نشك** فى أنه سيورى أنوارا تستضىء بها العقول ولا تنقص قرائحهم فى الاجابة واللطف عن قرائح اخواننا المصريين **الذين تقدموا** شوطا بعيدا فى هذا الميدان ...» (9)

وهل خرج الشابى عن هذا التعريف ، عما قاله هذا المنظر اذ أن المتفحص لقصائد الشابى يكتشف أن هذا الاخير لم يخرج عن التعريفات والتنظيرات التى طرحها من سبقه من أدباء تونس . اذ الاوضاع مزرية والظروف قاسية والحالة يرثى لها ولكن الامل فى الانتظار موجود والايمان بالمستقبل راسخ لا يتزعزع والحرية التى ينبغى على كل تونسى أن يتشبع بها ويرفع صوته عاليا مناديا بهذه القيمة الانسانية الخالدة ويناضل فى سبيل افتكاكها : «الهجوا دوما بذكر الحرية وذكر رجالها علها تنبعث فيكم وراء ذكرها روح جديدة تبعثكم على الاقتداء بمن تسربل بها ، اذن فلتعش الحرية وليعش انصارها الداعون اليها ...» (10)

---

(8) الجابرى محمد الصالح نفس المصدر ص 73 .

(9) الجابرى محمد الصالح نفس المصدر ص 76

(10) الجابرى محمد الصالح نفس المصدر ص 67

ان هؤلاء الداعين الى الامل والايمان بالمستقبل والتشبع بروح الحرية التى ستقود حتما الى الانتصار ، الانتصار على الظلم والطغيان ، على الجهل والتحجر هذا الصمود وهذا التحدى لن ينتهى أبدا : «فاستعملوا ما شئتم لكسر هذه الاقلام ، وابذلوا ما استطعتم لنزع تلك الفكرة واستعملوا ما بأيديكم من حول وطول لاخماد تلك النيران فترون رأى العين أن الاقلام الحرة لن تنكسر وأن الافكار الثابتة لا تتزعزع وأن نيـران الحميـة فى الوطنيين لا تخمـد أبدا ...» (II)

ما أروع هذا الاصرار وما أنبل هذا الايمان بالمستقبل !! مستقبل الشعـب ولو آمن الشابى بمثل ما آمن به هؤلاء الناس ، هؤلاء المثقفون ، هـؤلاء الكتاب لكان رائد الشعر التونسى بدون منازع ولكن هيهات الشابى انسحـب مـن ساحة المعركة الى غابته لا يلوى على شيء حتى يبثها أحزانه ونقمته على الشعب ذلك «الشعب الذى أبصر الحرية فى الافق الهائل قادما نحوه لا ينهزم ولا يتصدع ولا تؤثر عليه المصادرات وان عظم كربها ولا الارشادات وان اشتـد خطبها ... ذلك الشعب السائر فى سبيل الحرية المصمم على نيل حقوقه مهما كلفه ذلك ... » (I2) .

وسط هذا الايمان بالمستقبل المشرق لهذا الشعب المكبل بالاغلال حدد دور الاديـب ودور الشاعـر وأنيط بعهـدته حمـل مشعـل التقـدم والاضطلاع بمسؤولية الريادة لقيادة هذا الشعب الخامل تحت اكوام الجهل والفقـر وفى خضم الصراعات الفكرية وهذه المفاهيم المتناقضة أحيانا ، اعطيب تعـريفات جديدة لمفهوم الشعر ودور الشعراء نرى مصطفى خزندار الذى انتخب أميرا لشعراء تونس والمغرب العربى أسوة بأحمد شوقى نراه يعرف الشعر تعريفا يكاد يكون رومنسيا «الشعر يجيش بالصدور فتتنفسه الالسنة على اختلاف لهجاتها فهو فى كل الامم عنوان الرقى ولسان الشعور وصوت الضمير ورائد الوجدان وترجمان الاحساس ، وما تلكم القواعد الفنية الا تعريف للنظم فهى المظاهرة التى يظهر فيها النور الباهر بل هى الاوانى التى يسكب فيها الرحيق الحلال ...» (I3) ان هذا التعريف للشعر لا يبتعد كثيرا عـن التعـريف الرومنسى الذى تبناه الشابى وخريف والحليوى والبشروش ومن تبعهم .

(II) محمد الصالح الجابرى نفس المصدر ص I06 .
(I2) محمد الصالح الجابرى نفس المصدر ص I07 .
(I3) الجابرى محمد صالح نفس المصدر ص I24 .

ان كل التعريفات ـ كما راينا ـ أو محاولات التنظير للشعر التونسى فى بداية القرن العشرين تدور كلها حول الاسئلة التالية كيف يكون الشعر ؟ وما هى رسالة الشاعر ؟ وما هى آفاق التغيير ؟ ولكن الشعراء الذين سبقوا الشابى الى التنظير والممارسة الشعرية والخلق الفنى وخاصة خزنه دار وسعيد أبو بكر وزين العابدين السنوسى والهادى المدنى فهموا الشعر على أنه التصاق بالشعب أكثر منه تعبيرا عن احساسات فردية اذ أعطوا للشعر دورا اجتماعيا أكثر منه دورا جماليا أو تنفيسا عن مشاعر فردية وتركوا لنا أبياتا وقصائد شعرية قريبة من الالتزام بالمعنى الحديث للكلمة ، فهذا الهادى المدنى يقول :

هلم نزعزع الدنيا بصوت تخر له جبابرة الزمان

أو تلك الصرخات التى أطلقها الشاذلى خزنه دار معبرا بها عن التصاقه بالشعب وايمانه الراسخ بانتصاره :

يا أيها الشعب الكريم تيقظا هبت رياحك والزمان مواسى
كن فى المبادىء صادقا وافتح لها نهج الثبات وأعين الحراس

ان حب الشعب والالتزام بقضاياه ، هذه القضايا التى تشغل الشاعر فسخر لها حياته وضحى فى سبيلها بالكثير وانسلخ عن طبقته :

شغلت عن الجميع بحب شعبى رعاه الله والاخلاص نام

لقد كان خزنه دار فى شعره أقرب الى الالتزام السياسى ـ الاجتماعى منه الى الدعوة الى نظرية فنية جمالية . لقد ناصر خزنه دار الطاهر الحداد ودافع عنه دفاعا مستميتا عند اصدار كتابه « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » لقد عبر عن ألمه الشديد تجاه الاضطهاد والقمع والتعذيب الذى يتعرض له الشعب التونسى فى انتفاضاته المتتالية مثل حادثة سوق الاربعاء أو حادثة المرسى أو حادثة الزلاج ، كل هذه الانتفاضات ناصرها خزنه دار وأدان المعتدين أدان التعذيب والقهر ، أدان الظلم والاستبداد :

وليس هناك ضعف بل بلاد يداها للشقا مغلولتان
وظل المجرم العاتى طليقا كسلطان بدا فى مهرجان

وتستمر التنظيرات للشعر العربي على مستوى الشكل والمضمون وتشتد في فترة الثلاثينات ذلك العصر الذي شهد انقلابات وتحولات هامة على الساحة التونسية في كل المجالات وأصبح الشعر العربي في تونس يخوض بحق صراع المدارس والاتجاهات ولا نستغرب بروز آراء ودعوات جريئة جدا مثلما فعل زين العابدين السنوسي عندما قدم للجزء الثاني من ديوان خزنه دار حيث طرح أفكاره بشجاعة نادرة حول تطور الفنون قائلا «نعم ان مرور الزمن أثر في بهجته من حيث ابتعاد ذوق هذا الجيل عن الموسيقى والانغام الاندلسية الا أن ذلك أمر **ضروري والفن دائب التحول** بطبيعته لان **الاذواق تستبدع** الطريف بطبيعتها وتميل الى **التحول** على أية حال .» (14) ويستمر السنوسي في تحليل نظرته للشعر مضيفا : «على أننا لا نكاد نجد من لا يعتقد أن اسقاط القيود الزائدة مساعد على **استثمار** مواهب قد **يوقف تيارها** ذلك **الارهاق** الذي **لا طائل** تحته من القواعد الفنية والقوانين . انه لا يرى فائدة في محاولة **كبح** جماح لعاطفة **التطور** في **الاوزان الشعرية** والموسيقى لا وزنا **وقافية واحدة** لكننا نلاحظ **أن** ذلك التطور يجب أن يكون طبيعيا لا من نوع **التعلق بالشذوذ** والتفرد وهو **لا** بد واقع ... » (15)

ان هذه الدعوة الصريحة الى شعر التفعيلة او البيت الحر (Vers libre) كانت حسب رأيي اهم خطوة يخطوها الشعر التونسي في هذه الفترة وفي الفترات المتتالية انها جسمت بحق وعي التونسيين بضرورة تطور الفن شكلا ومضمونا وتعتبر دعوة السنوسي هذه دعوة متقدمة جدا حتى على المستوى العربي ، وهذا وان دل على شيء فانما يدل على وعي التونسيين دائما بكل جزئيات ودقائق الثقافة العربية التي كان ولا زال لهم باع كبير فيها خلقا وابداعا وتجديدا .

ان هذه المحاولات التنظيرية هي التي مهدت لظهور الشابي ، هي التي أعطت لتجربته الشعرية العمق النظري والخلفية الفكرية التي تتطلبها كل عملية ابداعية ، كل عملية خلق وتجديد في كل الفنون على اختلاف انواعها .

اذن يتبين من خلال ما وضحت في السابق ان الشابي لم ينزل من السماء ، بل وجد أناسا هيأوا له الجو النظري والمناخ الفكري الملائم لظهور التيار

---

(14) الجابري محمد الصالح ـ الشعر التونسي : ص 124 .
(15) الجابري محمد الصالح ـ الشعر التونسي : ص 126 .

الرومنسي الذي اعتنقه فيما بعد ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية هناك شعراء آخرون يختلفون معه من حيث وظيفة الشاعر والشعر وقدموا للشعب التونسي خدمة جليلة في فترة كان أحوج ما يكون الى مثل هذه الخدمات ولذلك يبقى في غير محله أن تقول عن الشابي كلاما يفهم منه خلو الساحة الادبية التونسية من غيره من الشعراء وفي الحقيقة بهذا العمل ندمر ثقافتنا ومثقفينا ونظلم شعرنا وشعراءنا وبلادنا أيضا التي نخاف عليها من الاتهام بالضحالة بعد كل ما قدمت للثقافة العربية طوال تاريخها الحافل ٠ ان الكثيرين الذين تعرضوا الى الشابي أشاروا أيضا الى آرائه التنظيرية أو النقدية ـ ان صح التعبير ـ لكنني وجدت مع كامل الاسف ان الشابي قد أصدر عدة أحكام ارتجالية عن الشعر والشعب ومن جملة احكامه هذه قوله : «ان الشعر الحق أجل وأسمى من أن يوكل أمر تقديره الى فكرة الشعب» (16) ان هذه النظرة الفوقية الاستعلائية التي لازمت الشابي طوال حياته الشعرية فهو فيلسوف ونبي وشاعر وبروميثيوس الى غير ذلك من النعوت والاوصاف التي يطلقها على نفسه عمقت الهوة بينه وبين الشعب المسكين ٠ ان تأثره بالفكر النيتشوي والنظرة الرومنسية الانطوائية جعل بينه وبين الشعب التونسي حجابا ليس من السهل تخطيه ، فظل المسكين حائرا بين نزعته الفردية الاستعلائية وبين المشاكل التي تخلخل أركان المجتمع التونسي في تلك الفترة ٠ لم يكن الشابي ذلك المثقف العضوي الذي يستطيع فهم حركة التاريخ والانحياز كلية الى جانب الطبقات المسحوقة والمناضلة في سبيل الكرامة والخبز والحرية بل بقي يتغنى بفرديته بنزعة رومنسية موغلة في تشاؤمها وانطوائيتها فالشعر عنده اما رومنسي أولا يكون : « ان الشعر يا صاحبي هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار وفي بسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حواليها الفراش في النغمة المغردة يرسلها الطائر في الحقل الفسيح وفي وشوشة الجدول الحالم المترنم بين الحقول وفي دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار وفي مطلع الشمس وخفوق النجوم وفي كل ما تراه وتسمعه وتكرهه وتحبه وتألفه وتخشاه ، فهل تسالني عن الشعر ؟ هكذا يجيبك الشاعر وهكذا يتحدث اليك الفنان ٠» (17)

---

(16) الجابري محمد الصالح ـ الشعر التونسي ص 236 أو جريدة الزمان 17 أكتوبر 1932 ٠

(17) رسائل الشابي محمد الصالح الجابري ـ الشعر التونسي ص 252 ٠

هكذا ينظر الشابى الى الشاعر والفنان فهو لم يخرج عن التعريف الرومنسى للشعر ولم يضف جديدا عما قاله السنوسى وخزنه دار وغيرهم من المنظرين الداعين الى التجديد الشعرى . والخطأ الذى وقع فيه الشابى دون أن يشعر منساقا بعاطفته وايغاله فى الرومنسية أنه حاول أن يطبق المفهوم الرومنسى للشعر ـ الذى يفترض ان يكون مدرسة من جملة العديد من المدارس ـ على الشعر كله . وبدا ذلك واضحا فى محاضرته الخيال الشعرى عند العرب الذى اتهمه بأنه خيال مادى ضحل لا يرقى الى ما فى أدب الغرب الروحى من انطلاق وحرية وتجريد . يبدو ذلك من محاولة تطبيق المفهوم الرومنسى على الشعر العربى اذ استشهد بقطعتين شعريتين لشاعرين من أكبر شعراء الرومنسية واكثرهم غلوا فيها وهما لامرتين وغوته فبين «أن هذين الشاعرين نظرا الى الطبيعة كلها باعتبارها كائنا حيا يترنم بوحى السماء فيثير فى حنايا النفس هواجع الفكر وسواحى الصور .» (18)

لقد اتهم الشابى العرب بضحالة الخيال وماديته ونسى او تناسى بأن يقرأ الشعر العربى كاملا والصوفى منه بصفة خاصة ولو قرأ لعمر الخيام مثلا لوصل الى نتائج وأحكام غير التى أطلقها باعصاب متشنجة . ولكن الشابى كان مدفوعا بثورته الرومنسية المثالية فبالغ فى أحكامه وتشنج فى استخلاص نتائجه وعمم جزئياته دون مبررات منطقية ، وعلل هروبه باسباب واهية منها شعوره بتفرده وتميزه واستعلائه عن الآخرين ، ولولا تشكى بعض أفراد عائلة الشابى من كثرة استشهاد الذين يكتبون عنه بشعره لحاولت أن أعطى مثالا من شعره على كل فكرة قلتها وعلى كل حكم أصدرته ولبينت بذلك مغالاة الشابى فى التعلق بمذهبه الفكرى الثقافى الذى كان فى مرحلة من المراحل تقدميا فى أوربا ومبنيا على أساس فلسفى اقتصادى سياسى اجتماعى ولكن الشابى اعتنقه متأثرا ودافع عنه معاندا وناضل فى سبيله موغلا . من مزايا المدرسة الرومنسية الاوربية تحطيم الكلاسيكية وقيودها ولكن سرعان ما انغمست فى الانطوائية والتشاؤمية والسوداوية والهروب من الواقع اليومى الى الطبيعة والغاب وهذا موقف خطير جدا بالنسبة لامة شعب يناضل فى سبيل أستقلاله وتحرره من قوى الاستعمار والظلم والاضطهاد . اذا كان للهروب فى أوربا مبرراته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فان هذه المبررات تغيب أو تنعدم فى الساحة التونسية .

---

(18) الجابرى محمد الصالح ـ الشعر التونسى ص 253 .

كانت نظرة الشابى للعالم مغرقة فى مثاليتها فالطبيعة التى يصورها فى شعره طبيعة مثالية فهى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار لا أشواك فيها ولا سوام ، لا حشرات ولا زواحف لادغة ، طاهرة مطهرة واذا حاولت أن أجد لها صورة أرضية فان نظرى يتجه الى بلدان اسكندنافيا أما غاباتنا نحن فتختلف اختلافا كليا عما صوره الشابى ، فغابات الجريد المقصودة أساسا والتى تلفحها الصحراء كل يوم بلهيبها القاتل ورملها الزاحف وشمسها الحارقة لا تمت الى غابات الشابى الشعرية بصلة ٠ فلو هرب الشابى الى الصحراء لكان أصدق مع نفسه وشعوره ووجدانه ، ففى شحوب الصحراء يبرز شحوب وجوه سكانها ، وعريها الذى يشبه عرى اجساد التونسيين الرازحين تحت وطأة الفقر والمهانة فهم أبعد ما يكونون عن تذوق رائحة الأزهر والاستمتاع بمنظر الفراش المتطاير فهم فى حاجة الى رغيف يسد رمقهم لان منظر الخبز أهم لهم من منظر أى شىء آخر مهما كان جميلا ٠

ان الشابى الذى حاول أن يكون مع الشعب سرعان ما قفل حقائبه وانسحب مهزوما خائبا الى الغاب طاويا عبقريته ونبوءته وفلسفته لتذهب فى مهب الريح بينما ظل محمد على الحامى والطاهر الحداد ومحيى الدين القليبى والهادى شاكر وفرحات حشاد وغيرهم من الذين ناضلوا فى سبيل التغيير ورفع الظلم ، وافتكاك الحرية وجدوا فى النهاية آذانا صاغية وعزائم صادقة وشعبا يضحى فى سبيل أن تعيش تونس حرة عزيزة ٠

فى الختام أرجو الا يفهم كلامى غير ما قصدت ، أردت أن أضع الشابى الشاعر والمناضل فى حجمه الطبيعى ، أردت أن أرد للساحة الادبية التونسية فى الثلاثينات اعتبارها كساحة أدبية عربية رائدة لم تقتصر على الشابى فقط أردت أن أرفع ملابسات عقدة نقص تولدت عندنا منذ زمن بعيد ودفعتنا الى نزعة اقليمية ضيقة نريد من خلالها أن نبرز على قدم المساواة مع كل ما يظهر فى المشرق العربى وقد تنبه الشيخ عبد الحميد بن باديس الى هذه الظاهرة عند التونسيين منذ أن وأوا مصطفى خزنه دار امارة الشعر أسوة بما فعل

المشارقة بأحمد شوقي وقرر على صفحات جريدة الشهاب أن **الجزائر لا تعترف** بهذه الامارة وأشار بوضوح الى اقليمية التونسيين أردت بهذه الدراسة أن اجعل الشابي ضمن مسار حركة شعرية تونسية يمثل **هو احدى حلقاتها** .

لم أنف عن الشابي صفة الشاعر وانما قلت : إنه لم يكن الشاعر الوحيد وانه لم ينزل من السماء أو لم يخلق من العدم . أردت أن أبين أن شعراء آخرين وجدوا معه في الساحة الادبية ويختلفون عنه ايدلوجيا فحاولت ان اوفى لكل ذي حق حقه ، وليكن في علم التونسيين ان هناك من شعراء تونس من مات شهيدا في السجن مضحيا بنفسه في سبيل الوطن وهو **المرحوم علي الشواشي** الذي غاضه موقف الباي محمد الصادق من الاحتلال الفرنسي فقال :

يا مدعي الصدق بين العجم والعرب لقد تحولت من صدق الى كذب
هل مسك الضر أم لاحت طلائعه على سما قصرك الموعود للعب
بعت الورى للعدى بخسا بلا ثمن تبت يد البائع الملعون في الكتب

الدكتور محمد عبازه

هذا رأي من جملة آراء نشرناها على صفحات مجلة « الفكر » وهي تحاول أن تضع أبا القاسم الشابي في « حجمه الطبيعي » . والاسئلة المطروحة هي : هل أن هذا الرأي فيه إنصاف للشعراء التونسيين الذين عاصروا الشابي من جهة وحط من قيمة الشابي الحقيقية من جهة أخرى ؟ وهل أن هذه الآراء التي عبر عنها الشابي مثل غيره من الشعراء صاغها صياغة نزلته منزلة أعظم أم لا ؟ ثم ما ذنب التونسيين عندما حكم إخوانهم المشارقة هذا الحكم لفائدة الشابي. كلها أسئلة وغيرها كثير ، تحتاج الى مزيد من التحليل والتعمق وخاصة ما يتعلق بلغة أبي القاسم الشعرية التي سارت على الالسن وحفظتها الاجيال الادبية المتعاقبة لا من التونسيين فحسب بل من الاقطار العربية . [**الفكر**]

رسالة حمراء

شعر : رجب بن مهيني

ان قلتُ يا حبيبتي بأن حبي قاتل فإنني المقتولْ !
تبعثرتْ أناملي .. فكيفَ يا حبيبتي أبحثُ في الترابِ عن نضارة الحقولْ؟!
وقلتُ ألفَ مرّة بأنّ حبي قاتِلٌ ...
وأشتهي بأنْ يكون القتلُ – يا حبيبتي – الرسولْ
لتقرئي رسالتي ... وصيتي إليك أنْ لا تُهملي قصائدي
أن تقرئيها كلها .. وتحفظيها كلها
إن متّ يا حبيبتي .. كموت أي فارس ..
فالخيْرُ أن لا تُطعنَ الخيُولْ
تذكري دوما بأنّ حبنا كالنجمة البيضاء في السماء .
أريدها بيضاءَ لا يدركها الأفولْ
موائدُ العشقِ التي تجمعنا .. بحرٌ مِنَ الأحلامْ
نهرٌ الى آفاقِنا يمتد اذْ يطولْ
موائدُ العشقِ عليها حبنا .
إذا اكتوى بالنار – يا حبيبتي – تسعفُهُ الحلول
لمْ تسألي عن حبنا من زمن ... لم تقرئي رسائلي القديمهْ
أصبحتْ سيفا من التاريخِ
وقد تكاثرت في حده الفلولْ .. ؟

أتصبحَ الواحةُ بعد خصبها .. جرداء لا نخيلْ
أتنطفي حرارة العشقِ التي تجمعنا
لا تقبلي أن تسمعي وأنْ تعي بأنّ تركَ حبنا مقبُولْ
خيانةٌ أن ينهبَ العرض .. وان حبنا آية ما يجمعنا
خيانة أن تنصب المشانقُ الحمراءُ في ساحاتنا
خيانةٌ أن تصلبَ الشمس كما في ساعةِ الأصيلْ
في عصرنا .. لا بدّ – يا حبيبتي – أن نستعيدَ ذكرياتِ أمسنا
أن تفهمي أن لنا في يومنا
حضارة لا ترحمُ الورودَ ما أدركها الذبول
وأنّ منْ تَدوسهُ الأقدامْ
يظلّ فوقَ الأرض مثل نبتةِ النجيلْ
تذكري بأن عهد الحبّ لا يزولْ
وانْ تخاصمنا فأنتِ دائما رائعةٌ
وغايةُ الروعة – يا حبيبتي – أن تفهمي ما قلتُ أو أقولْ

★ ★ ★
على ضفاف حبنا كان الهوى يداعبُ الأهدابْ
تفتحتْ أزهارنا ..
هلْ تذكرينَ مرّة كنا معـًا نباركُ الشبابْ ؟
مازلتُ – يا حبيبتي – أعتزّ بالشبابْ
هلْ تذكرين رحلة الأحلام – يا حبيبتي – في الغابْ ؟
هلْ ممكنٌ أن تمّحي حياتنا في لحظة
وأنتِ تدركينَ أنّ حبنا صرحٌ ،
فهلْ يتْركُ ذاكَ الصرحُ دون بابْ
يدخلهُ البغاةُ – يا حبيبتي – هلْ تقبلينَ – والهوى

مقدّس — ؟ أن يصق الطاعونُ في المحرابْ
وأن نظلّ هكذا كأننا الأخشابْ
لا بدّ يا حبيبتي .. ان نرفض الغزاةْ
أنْ نبنيَ الخرابْ ..
مرارة الأحداث في قلوبنا .. وقدْ شربنا النار والعذابْ
فهلْ تعينَ الآنَ — يا حبيبتي — معنى الهوى ؟
إن الهوانَ يقطعُ الرقابْ
قصائدي أريدها مكتوبة كالبرق في السحابْ
أريدها كالرعد كالمطرْ
هلْ تتركينَ آخر الرسائل الحمراءْ ؟
وتطفئينَ جذوةَ الإخصابْ ! ؟
الصدقْ لا يخونني ان قلتُ : يا حبيبتي أهواكْ
ان قلتها تهزّ قلبي نشوةٌ
لقدْ سألتُ الله أنْ يبدّدَ الضبابْ
سألتُكِ الآنَ بأنْ لا تُهْمِلي الخطابْ
وأن يكونَ بيننا العِشْقُ الذى يعطي بلاحسابْ

* * *

مرآتُنا صادقةٌ .. ونحنُ في المرآةِ لا نحتاجُ للتجميلْ
ليس الذي أقولهُ ضربٌ من التطبيلْ
كرهتُ ما يفرق العشاقَ منْ تدجيلْ
الصدقُ — يا حبيبتي — مرآتنا .. وهو لنا الدليلْ
قساوةُ الزمانِ قد تهدّنا ويكبرُ التضليلْ
لكننا اذ نذكرُ العشقَ الذى يجمعنا .. ونذكر الحمى

التى تصهرنا .. وتضحياتُ حبنا النبيلْ
وخنجر الظلام فى وجوهنا مسلولْ
لا بدّ أن نطهرَ الحبّ مِنْ الأحقادْ ..
لا بد أن نعود للصفاءْ ..
لا بدّ أن يكونَ من صفائهِ لجفوةِ العشاقِ - يا حبيبتي - البديلْ

* * *

تفر من ساعاتنا الأيامْ
تفر من أيامنا الشهورْ
تفر من شهورنا الأعوامْ
... أريد أن يكون نور الحرفِ في عيوننا الهُيامْ
فإنني أمقتُ أن أظل - يا حبيبتي - محاصرا بالصمتْ
أظل - يا حبيبتي - كنعجة فى زحمة الأنعامْ
أريد أن أحبّ .. أن يكون حبي جارفـًا
أريدُ أن أقول : يا حبيبتي أهواكِ . ! هلْ فى قولها إجرام ؟ !
أريد أن يكون صلح بيننا ..
وينتهي الخصامْ .

رجب بن مهني

فى الأعداد القادمة ننشر
النص الغائب فى شعر أحمد شوقي (القراءة والوعي)
دراسة : محمد بنيس (المغرب)

حول « الحصري وكتابه زهر الآداب »

بقلم : محمد المختار العبيدي

صدر عن الدار العربية للكتاب بتاريخ أكتوبر 1981 كتاب للدكتور محمد بن سعد الشويعر عنوانه : الحصرى وكتابه زهر الآداب ٠

ما أن خرج للناس هذا الكتاب حتى شكرنا الدكتور الشويعر اعتناءه بأديب القيروان وشاعرها ابراهيم الحصرى وكبر لاول وهلة فى أعيننا كتابه هذا الذى ضم بين دفتيه ستمائة صفحة أو ما يزيد .

ولعله معلوم لدى جمهور القراء أن ابراهيم الحصرى لم يكن مغمورا فى تونس ولا فى غيرها من البلاد العربية ٠ فالى جانب كتب التراجم والادب التى لم تغفل عن ذكره ولا توانت فى الاشادة بأدبه ، فقد أشبعه المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب درسا وتمحيصا فيما نشر من كتب ومقالات (1) وكلف به الشاذلى بويحيى أيما كلف فكشف للناس جميعا فى حوليات الجامعة التونسية (2) وفى أطروحته (3) وفى دائرة المعارف الاسلامية (4) ما كان من حياة ابراهيم الحصرى وأدبه مستترا خفيا. الى جانب دراسات أخرى اهتمت عرضا بالحصرى وهى كثيرة لا يسع المجال لذكرها الآن ٠ وقد تساءلنا ونحن نقرأ الصفحات الاولى من كتاب الدكتور الشويعر عما يمكن أن يحويه من جديد خاصة وان حجمه يوحى بما يوحى . فقلنا : لا يمكن أن يكون الكتاب غير جمع

---

(1) انظر خاصة : مجمل تاريخ الادب التونسى والمنتخب المدرسى وبساط العقيق وورقات ٠

(2) الشاذلى بويحيى : حول تاريخ وفاة ابراهيم الحصرى ٠ حوليات الجامعة التونسية العدد الاول سنة 1964 ٠

(3) (الحياة الادبية فى عصر بنى زيرى) Chédly Bouyahya : La Vie Littéraire sous les Zirides S.T.D. Tunis 1972

(4) فصل عن الحصرى بدائرة المعارف الاسلامية (III ص ص 660 ـ 662) .

وتم لجميع ما كتب عن ابراهيم الحصرى وجاء أوزاعا فى المخطوطات والمطبوعات . واذا ما كان ذلك كذلك فقد أحسن الدكتور الشويعر صنيعا اذ كفى القراء مؤونة الرجوع الى عشرات الكتب للفوز بمعلومات عن الحصرى . وهو لعمرى عمل مضن عسير يضطر صاحبه الى الرجوع الى مشهور الكتب ومغمورها والى مطبوعها ومخطوطها واذا تم له ذلك دعته الامانة العلمية ونزاهة البحث الى ذكر أعمال سابقيه والاشادة بها اذا كانت جليلة قيمة فلا يدعى لنفسه ما هو لغيره ولا يبخس الناس حقهم ولا «يحرف الكلم عن موضعه» . وقد سارع الدكتور الشويعر الى اعلامنا بالاسباب التى دفعته الى تاليف كتابه وقد قيدنا من تلك الاسباب ما يلي :

(1) - (وهو ثانى سبب عنده) «التعريف الصحيح الوافى بذلك الاديب الكبير الذى لم يجد من ينصفه أو يوفيه حقه من العناية» (5) .

(2) «أن الحظ أسعفنى (أسعف الدكتور الشويعر) بالعثور على مخطوطة نادرة له لم ينتبه اليها أحد ولم يكشف النقاب عنها من قبل هى كتاب «المصون فى سر الهوى المكنون» وهو كتاب فى الحب عرفت به ودرسته دراسة وافية رجحت فيها بالموازنة والمقارنة تأثر ابن حزم الاندلسى به فى كتابه طوق الحمامة» (6) .

يعتبر الدكتور الشويعر أن الدارسين لم ينصفوا الحصرى ولم يوفوه حقه من العناية وكلامه هذا يدل دلالة واضحة على أنه اطلع على جميع ما كتب عن الحصرى وأنه لم يرض عن ذلك ولا عن الدارسين الذين لم يعرفوا بابراهيم الحصرى «التعريف الصحيح الوافى» . وسنرجع الى هذه النقطة بالنقد والتعليق فيما سيأتى .

ويعتبر الدكتور الشويعر فى مرحلة ثانية «أن الحظ أسعفه بالعثور ... (راجع الفقرة السابقة) الى أن يقول فى غير هذا الموضع ولكن فى نفس الموضوع: **« هذا الفصل بما فيه من كشف ونتائج جديدة كل الجدة لم يسبقنى بحمد الله اليه أحد قط »** (7) .

(5) الدكتور الشويعر : الحصرى وكتابه زهر الآداب ، ص 6 .
(6) نفس المرجع ص 6 .
(7) المرجع السابق ص 9 .

ونحن نسجل أمام هذا الكلام استغرابنا وخجلنا وعجبنا ، كما نعبر عن استيائنا — وكل الذين يعلمون حقيقة الامر مستاؤون مثلنا — لصنيع الدكتور الشويعر الذى أراد استبلاهنا والتمويه علينا والاستخفاف بنا • أفلم نقرأ منذ ثماني عشرة سنة هذا الكلام بحذافيره لباحث آخر فى مرجع آخر ؟ ألـم يقل أحدهم وهو السابق الكشف لا الدكتور الشويعر ، ما نصه :

« ذلك أننا بتتبع آثار ابراهيم الحصرى فى مظانها عثرنا على تـأليف لـه غريب هو كتاب «المصون فى سر الهوى المكنون» (ويقول فى الحاشية اطلعنا على نسخة خطية منه بمكتبة ليدن محفوظة تحت عدد 2593 (OR) وهو فى قالبه الطريف كحديث بين متحاورين دراسة تحليلية لعاطفة الحب فى مظاهـرها وظهورها عند العشاق ••• ووصل بنا الاطلاع على هذا الكتاب الى رأى آخر لا تخفى أهميته على علماء العربية ... وهو ان كتاب الحصـرى هذا يمكـن اعتباره أصلا من الاصول المظنونة لتأليف ابن حزم المسمى «طوق الحمامة فى الالفة والالاف» (8) •

فما للدكتور الشويعر ينسب الى نفسه ما تعب غيره فى العثور عليه ؟ وما هذا الكشف الذى أعلن عنه وقد أمسى خبرا متداولا بين الطلبة والباحثين منذ سنة 1964 ؟

ان ادعاء من هذا القبيل يجعلنا — من حيث لانشاء نسيء الظن بالدكتـور الشويعر ولا نطمئن الى أقواله وهو الذى غالطنا ثانية — والمغالطات فى كتابه لا تحصى عددا — فى غضون حديثه عن تاريخ حياة الحصرى وتاريخ وفاته • فقال بالحرف الواحد : «ولان تاريخ ولادته يكاد يكون مجهولا عند المؤرخين فقد ناقشت الآراء التى حددت عمره وفندت ما ذهبوا اليه هادفا الى تصحيح الخطأ الذى اعتمدوا عليه فى هذا التحديد وخرجت من ذلك بالرأى الصحيح الذى ربما لم يسبقنى اليه أحد » (9) .

وحتى يعلم القارىء أكثر ، فان الدكتور الشويعر أقر أن سنة ولادة الحصرى

---

(8) هذا الكشف للشاذلى بويحيى أعلن عنه فى مقال له بعنوان حول تـاريخ وفاة ابراهيم الحصرى ونشره بحوليات الجامعة التونسية العـدد الاول سنة 1964 •

(9) الشويعر : الحصرى وكتابه زهر الآداب ص 8 •

هى 363 هـ وسنة وفاته هى هـ . واعتبر اقراره تينك السنتيــن كشفــا لــم يسبقه اليه أحد . ولعلنا نعلم جميعا ان حوليات الجامعة التونسية نشرت مقالا (10) أشرنا اليه سابقا بامضاء الشاذلى بويحيى تناول فيه صاحبه بالدرس حياة الحصرى وكتابه «المصون» وقد قام بمقارنات بين التواريخ عديدة اعتمدها جميعا من بعده الدكتور الشويعر ووصل الى نتائج أمست لدينا بعد أن كشف عنها الشاذلى بويحيى معروفة لصحتها ولكونها وليدة أبحاث معمقة لا وليدة تخمين وتهويم . والغريب فى الامر أن الدكتور الشويعر الذى اعترف صراحة انه اطلع على مقالات ح.ح عبد الوهاب والشاذلى بويحيى فعلم علم اليقين انهما أقرا سنة 413 هـ تاريخا صحيحا لوفاة ابراهيم الحصرى ، يقولهما ما لم يقولا ويفترى عليهما الكذب مغالطة للقارىء وتدليسا للحقائق حتى يوهم الناس بأنه الكاشف الاول لمسائل لم يهتد اليها من قبل غيره . فانظره يقول فى الصفحة 74 احالة 29 : « وقد تابع ح.ح عبد الوهاب فى هــذه الاستنتاجــات الشاذلى بويحيى فى مجلة الحوليات « حوليات الجامعة التونسية » ص 9 ـ 10 العدد الاول سنة 1964 م وينص صراحة على أن الحصرى اندثر فى منتصف القرن الخامس مع أن الحصرى مات قبل ذلك بكثير» . وقد قال الشاذلى بويحيى بالحرف الواحد : «فهم ـ يعنى أدباء العصر الصنهاجى ـ الذين أخذوا عنــه وتأثروا بمذهبه فنما فيهم وازدهر معهم ووصل أوجه بترعرعهم وكان بتلفهم اندثاره فى منتصف القرن الخامس عند خراب القيروان» و «الاندثار» هنا للمذهب لا للحصرى كما فهم غلطا الدكتور محمد بن سعد الشويعــر . ولا يمكن أن يكون الاندثار للحصرى لانه سبق أن بين صاحب مقال الحوليات أن سنة وفاة ابراهيم الحصرى هى 413 هـ لا 453 هـ كما ذهب الى اثبات ذلك بعض الباحثين .

ومما زهدنا فى كتاب الدكتور الشويعر عقده انطلاقا من كتاب الحصــرى زهر الآداب فصلا عن السرقات الادبية وهو الفصل الاول من الباب الثالث وخصه بـ 117 صفحة نراه فيها يدافع دفاعا بطوليا عن السرقة بتضييق نطاقها والتخفيف من أمرها لاخراج أنواع كثيرة من الاخذ من باب السرقة من ذلك أنواع من الترجمة عن لغات أجنبية وأنواع أخرى أطلق عليها عبارة «لفت النظر» وهى التى استعملها فى ما أخذ عن غيره وتبناه لنفسه فكأنــه قصــد بذلك الى اسكات ضميره بأن اعتبر سبق غيره لكل ما أخذ عنه مجرد لفت نظر

(10) الشاذلى بويحيى : حول تاريخ .. المرجع المذكور آنفا .

وبذلك يكون قد برر عمله وبرأ نفسه وهو فى ذلك الخصم والحكم معا ۰ ولا ينتهى القارىء من مطالعة الفصل دون أن يخرج منه بفكرة جد غريبة ؛ وهى أنه تكاد لا توجد سرقة ـ حسب تحاليل الدكتور الشويعر ـ فخذ ما شئت من عمل من شئت واضمم متاع غيرك الى متاعك فليس ذلك سرقة الا ما سماه «سرقة صريحة» أى عند ما يقول المريب خذونى !

الى جانب هذا الاخذ الصريح الذى يسميه الدكتور الشويعر «لفت نظر» فقد عثرنا على هنات فى الكتاب الذى نقدمه لا تحصى عددا لم نستطع غض الطرف عنها أو عدم لفت النظر اليها ۰

ـ يلجأ الدكتور الشويعر فى مواطن كثيرة من كتابه الى نقل فقرات مطولة من كتاب زهر الآداب وكتب أخرى مع ذكر مئات من الابيات الشعرية مما يجعل من الكتاب مجموعة نصوص أدبية لكتاب وشعراء من مختلف العصور وآراء لنقاد وباحثين قدماء ومعاصرين يعوزها الترتيب المنطقى .

ـ يعتمد غالبا على نصوص ينقلها بحذافيرها رغم طولها عوض الاختصار على تلخيصها أو استعمالها للاتيان برأى من عنده أو بعبارة هى عبارته :

ـ مثلا ص 17 وما بعدها حيث ينقل عن الادريسى والمقدسى وغيرهما من المؤرخين ونصوصا عن الجاحظ والحصرى والهمذانى .

ـ فى أواخر الكتاب : من ص 389 ، أمثلة تتوالى وتنتهى بلا ربط ولا خاتمة ، وكذلك فى مستهل الفصل الثالث فى الحديث عن البديع ۰

ـ ينقل نص وصية ابى تمام للبحترى كاملة ونص مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص 526 ـ 527) وغير ذلك من النصوص الكثيرة المعروفة المنشورة فى جل كتب الادب ۰ والكاتب يعترف بهذا ـ درءا للنقد فيقول ص 290 : «ولما كان الحصرى رحمه الله لم يرحنا بتعريف هذه المصطلحات وكذلك من سبقوه كما أن أمثلة تتناول أمورا أعم مما حدده تلميذه ابن رشيق فى تعريفه فاننى أرى الاستكثار من ايراد الشواهد التى ذكرها الحصرى لهذه المصطلحات ودراستها» ۰

ـ يعلم أن شعر الحصرى لم يصلنا منه الا النزر القليل ومع ذلك فهو لا يتورع من البت فى الحكم على هذا الشعر ويقول : إنه ليس فيه مديح الا بيت

واحد ويقدم سبب اعراض الحصرى عن المديح ! **ويحكم على الحصرى بقصر النفس** (ص 124 وما بعدها) ٠

ـ يصدر أحكاما قاسية على الحصرى وشعره ـ **بدون مبرر** ـ **ويستنقصه** دون دليل مقنع فيتهمه **بالعجز** (ص 144) وقصر النفس (**ص 128**) **وقلة العمل** الفكرى العملاق (ص 145) ثم يتناقض عندما يورد شهادات القدماء باستحسان أدب الحصرى وشعره . ولعل ما يعيبه على الحصرى انما هو من خصائص أدب العصر ٠ وهو يعلم ذلك اذ يصرح به (ص 151) ٠

ـ ص 216 وما بعدها : عند التعرض الى كيفية تصنيف الحصرى كتاب زهر الآداب يخلط الدكتور الشويعر خلطا يدل على أنه لم يفهم كلام الحصرى فادعى عليه ضربا من التناقض وكأنه اعتبر أن تصنيف الكتاب قد اشترك فيه الحصرى وأبو الفضل العباس بن سليمان بأن اختار هذا نصوصا من أدب المحدثين واختار الحصرى نصوصا من ادب القدماء مع اختصاره الكل الخ ٠٠٠ ويبدو أن الدكتور الشويعر لم يفهم **أن** كلام الحصرى يعنى أن أبا الفضل قد أتى من الشرق بكتب لا بنصوص مختارة ، وأن أبا الفضل طلب من الحصرى اختيار نصوص من هذه الكتب التى جلبها من الشرق ٠

ـ **لا ينفك يقول** : رجحت ، ثبت عندى ، أعلل ، وهو غالبا **فى ما قاله غيره** وأثبته بالحجة ٠ يقول (ص 423) «وقد لاحظنا ثلاث نقاط فيما **نحن بصدده** تحتاج كل نقطة الى تعليل أمام القارئ، وهى 1 ٠٠٠ 2 ٠٠٠ ونحن **نعلل** ذلك بأمور ، أولهما ، وثانيهما» وهنا يقول فى احالة اسفل الصفحة : «هذان التعليلان ذكرهما الدكتور هدارة» فما معنى قوله حينئذ «ونحن نعلل ذلك بأمور» اذا كان هذا التعليل قد أخذه من غيره ؟ ومثل ذلك فى ما أوهم اكتشافه فى كتاب «عيار الشعر» لابن طباطبا (ص 421) قبل أن يعترف ص 422 أن الدكتور هدارة هو الذى يرى ذلك الرأى ٠

ـ ص 85 : يقول الدكتور الشويعر : «عن الشرقى القطامى : أن أبى (كذا) عتيق لقى عائشة ٠٠٠»

ـ ص 36 : «فوقف شعراء وأدباء الشيعة العبيديين (كذا)» ٠

ـ ص 145 : «وموجز هذا اللقاء أن الحصرى ما ترك ضربا من ضروب السجع الا **تعمدها وتكلفها**» .

ـ ص 286 : «ولا ننسى» .

ص 307 : «... سواء كان المأخوذ لفظا أم (كذا) معنى أم خيالا» .

ص 360 : «على أنه لا يخلو الحصرى من ومضات طفيفة» !!!

ص 361 : «لانه مشغول برد المعانى والالفاظ الى أصولها من السابق الى اللاحق» ولعله أراد أن يقول من اللاحق الى السابق .

ص 381 : « أحدهما معانى (كذا) عادية ...»

ص 440 : «ويقول : ولئن (كذا) يسمى ابتداعا أولى من أن يسمى سرقة» .

ص 539 : «وبينت تأثيره بمن سبقه» .

وخلاصة القول ، ان الدكتور الشويعر لم يضف بكتابه هذا الى معلوماتنا جديدا يذكر ، وقد اكتفى ـ وما نظنه يستطيع أكثر ـ بجمع أقوال سابقيه ونتائج بحوثهم ونبه الى ذلك فى مواطن قليلة وسكت عما أراد تبنيه فادعى باطلا كشفه واماطة اللثام عنه .

ويبقى سؤال يخامر ذهننا بعد الانتهاء من قراءة الكتاب ومر التالى : ما هو موقف الدكتور الشويعر من الحصرى وأدبه ؟ هل كتب عنه اعترافا له بقيمة أدبه وحرصا منه على الوقوف على مواطن الاعجاب والتفوق فى كتابه زهر الآداب أم أنه كتب عنه ليحط من شأنه وليسمه بالعجز وقصر النفس ؟ .

محمد المختار العبيدى

في موسم الشمول

شعر : الصادق شرف
(أبو وجدان)

غامضةٌ إن تسألوا عن كنهها .. ينهزمُ السؤالْ ..
فليس من يرى .. كمن شجرة الخيال ..
وليس أشهى من تلحفي بها في موسم الشمول ..
وربما لا أستحي من أن أقولْ ..
ما لا يجوزُ أن تقبله العقول ..
كأن أقولَ : ناقصٌ هو الكمالُ ، انها الجزء الذي
يتمم الكمال .
وإنها بعينها .. عينُ الجمال

★ ★ ★

جميلةٌ .. ولا مجالَ للجدال في تهوّر الجميل ..
ولا مثيلَ مطلقا لها .. فإن يكن فإنه احتمالُ المستحيل !
وليس ذاك الإحتمالُ غائبا .. أو بين بين ..
وليس حاضرا كما تراهُ العينْ ..
وانما موحّدٌ بذاتها ..
وهل يكونُ واحدٌ محتملاً في بقعتين !؟
إذن أنا أراك جانبي .. نعم أنا أراك ..
فانظر – وأنت ها هنا – فهل تكونُ ها هناك ؟!

★ ★ ★

شهيةٌ .. وليس فيها بَارقٌ لا يُشتهَى بِأن يُعَانق ..
مِن أجْلِها .. كم سيقَ موجُ الخلق للمَشَانِق !!
وليس منا — مطلقا — مَن لَم يُصِبْهُ حُبّهَا في القَلْبِ ..
فنَحْنُ حُبا ذَائِبُونَ في التِحَامِنا بِها ..
وَمَا غُلِبْنَا مَرّةً وَاحِدَةً في الحُبّ
لأننا نَذُوب في المَحبُوب قبْلَ أن يَغْلِبَنَا المَحْبُوب ..
نَذُوبُ فيه نحنُ .. أي فينا يَذُوب ..
فان يَكن في ذَوَبانِنَا انتهاء
فاننا كم نشتهيه ! ما ألَذّ ذَاك الإشتهاء !

★ ★ ★

شهيةٌ .. عددّنا اشتهاؤنا لها .. لنَعبُدَ التوحيدْ ..
يَتّحِدُ الحَديدُ تَحْتَ النار بالحديد ..
يتّحِدُ القريبُ عِنْدَ الوجْدِ بالبعيد ..
وجداننا لها يُشْبِهُ الالَهْ ..
وَاحدَةٌ .. وحيدَةٌ .. وما لها اشتباه ..
واننا بدُونها قد نَفْقِدُ الزنودَ وَالجبَاه ..
ولا نظنّ أننا بِدُونِها سَنَصْنَعُ الحَيَاهْ .

★ ★ ★

رَقِيقَةٌ .. الى حُدُودِ الغَيْبِ .. والصفاء .. والإضاءهْ ..
نكادُ في صفائها — مِن ذَاتِنَا — أن نَكتُبَ البَرَاءهْ ..
كتابَةً نَوَدّ أن نَقرَأها .. لو نَعْرِفُ القِرَاءَهْ ..
يكادُ مَا فيها مِن الصّفاء لو تَكلّمَ الصّفاء ..
لقال : مهلا .. أيُّنا الروحُ ؟ وأينا الوعَاء ؟

وَأينا الرَّوَاءُ قَبْلَ رَشْفِ المَاءْ !؟
وَأينا كالعَطَش الدَائِم دُونَ أن نُحِس بالجَفَاف ؟
وأينا الفَضَاءُ فِي حُدُودِهِ ؟ ..
وكاذِبٌ مَن حَدَّدَ الفَضَاء .!
لاننا الحدودُ والفضاء في امتلائنا بها
أشَدّ مَا يكونُ الإمتلاء ..
لو كانت الدنيا بأسرها لها الإناء ..
ما وسعتها أبدا .. هَل يَسَعُ المَحْدُودْ ..
مَن لَيس لامْتِدَادِه حدود ؟!
سنابِلُ امتدادها تَحتضِنُ الإنسانَ في الوُجُود ..
لا فَرق بينَ الشوكَةِ البَيْضَاءِ .. والأشواك السودْ !
يَا وَرْدَة تفتحت على ملَيُون عُود ..
حذار ان تحتكروا تَفَتُّحَ الورود !!
فالوردُ لَم يعُدُ لَدَيْهِ - بَعْدُ - ما يَقُولْ
مِن بَعد مَا تَفَتَحَتْ
على يَدَيهِ فَرْحَةُ الحَيَاةِ في مَسافَةِ الشمولْ ..

الصادق شرف

ربيع

بقلم : البشير المجدوب

لا ربيع هذه السنة . جف دمع السحب قسا قلب الطبيعة . الزرع المسكين فرض عليه التقشف حكم عليه بالامساك ، فاذا هو يتحرق الى قطيرات الندى ، يتقمم ذرات الرطوبة ، يتعلل بالنسيم ...

لا ربيع هذه السنة ، وتتوالى السحب بساطا راقصا يتماوج فتنة وإغراء .. أعلاما ترفرف اخضرارا واعدا .. مائدة عامرة شهية . وينتصب الانتظار فاغرا فاه يلحس السراب ، يعب الوهم ، يحتسى الظمأ ...

لا ربيع هذا العام فى بلدنا ... سماء فى إجازة .. إنه صيام الجبر ، حمية العسف والقسوة تأكل الشحم واللحم ، وتمتص الدماء ، فاذا السنابل هيكل ولا روح .. أشباح تترنح تتهاوى سكرا برحيق الهاجرة العنود ...

وتتوالى السحب من جديد ... لعبة الرجـاء واليـأس ... وتـر التحسس والانتظار ينتفض كالدرويش يصيح يصيح . لقد أفحم ولا جواب الا الشمس، دائما الشمس ، غائبة حاضرة ، تأكل الغيم ، تـزدرد الضبـاب ، تكتسـح الفضاء ، وتملأ الآفاق ...

ربيع ولا ربيع . تحجرت الارض . شقوق كالجراح مفتحة الشفاه تستغيث. ريح السموم .. وهج الصيف فى أوج الربيع . لقد غزتنـا الصحـراء أيامـا وأياما ، شهرا بأكمله لا تني تقذفنا بفحيح أنفاسها ، تؤلب علينا الشمس .. جيشا من الجراد .. ملايين من الجراد .. أسرابـا من النحاس الملتهب تقضـم الخضرة ، تفتت الخضرة ، تفترس الحياة ...

أين أنت يا إبريل الحق ... تقفز فيك السنابل قفزا ، تكاد تنط نموا دافقا ، مشرئبة تيها وزهوا ، تتمدد تتطاول ترتضع الغيث ترتشف الندى ، تهتز صحة ونعيما ، وتتفجر نضرة وامتلاء ...

سحب .. سحب رمادية دكناء تلوح من الشمال تزحف الينا زحفا . برد الطقس . ما أنعم هذا البرد يتشربه الجسم بجميع مسامه ، يمرح طربا فى طراوته النقية العذبة !

المطر آت لا ريب فيه . الغيث نحسه الآن يسرى فى تضاعيف الكيان ، ينعش الجسد ، يبل ظمأ الروح ، ويقلب القحط ريا وخصبا ...

رذاذ خفيف تهفو له التربة الناشفة الغبراء ، تتلقاه فى لهفة ، تبارك كل قطرة منه ، تهش لها وتستزيد ، منهومة الشهوة مسعورة الظمأ ...

رذاذ يدر ويجود ، ينقر ورق الشجر نقرا خفيفا .. وخزا لطيفا .. خشخشة تتهلل النفوس لموسيقاها بشرا وارتياحا .. أملا ويقينا ...

وتهب ريح تعبر أقطار الفضاء تخرق السماء خرقا ، ترتج تدور حول نفسها وتنقلب كالمصروع مدومة مزمجرة ، واذا هى رياح معربدة متلاطمة تمزق بسياطها قطعان السحاب ، تغسل السماء تطهرها تطهيرا ، فاذا هى مرآة صقيلة لا شية فيها .. حسناء كشفت عن محاسنها متبرجة قد تعرت للشمس ، وعلى محياها المشرق الدري ابتسامتها الرقيقة الساخرة ...

1938/5/13

البشير المجذوب

كنت الحريق

شعر: عز الدين الشابي

لا تعجبي فالحبّ أرهق كاهلي ... حتّى قلقتُ بجلدتي وثيابي
ولقد مللتُ تحرّكي وتوثّبي ... ورجولتي أمستْ وراء الباب
لمّا دخلتُ دخلتُ خلوا خاليا ... ومجرّدا من كلّ شيءٍ دابِ
أنا ما وصلتُ إليكِ إلاّ منهكاً ... أفعى بلا سمّ ولا أنياب
وكأنّما شربَ الهواءُ تسمّمي ... عجزتْ رياحُ الحبّ عن إخصابي
وسألتني من أنت ؟ قلت : انا أنا ... لكنني جرّدْتُ من أعصابي
لا تحقدي بل فاحقدي ! معذورة ... حتى ولو مزّقتِ لي أثوابي
صبيّ عليّ الشتمَ سُبّيني فقد ... عوّدتُ نفسي العار بالألقاب
ثوري بعنف فوق قبري وانبشي ... بمخالب النّمر الحقود ترابي
لو كنتِ يوما يا حبيبةُ غابةً ... ممنوعةً مسدودةً الأبواب
لرأيتِ نفسكِ باللّظى محروقة ... فانا سعيرٌ فاتكٌ بالغاب
كنتُ الحريقَ وكنتِ أرضًا ضحلة ... مسلوبةً حتّى من الأعشاب
شبّتْ بها النيران دون تواصل ... شبّتْ بها النيران دون جواب
وانهار في وسعِ البِساطِ لسانها ... مثل السعير الزّائفِ الكذّاب

قد كنتُ فوق الماء أحلى زورقاً فتقبته ويلي من الأثقاب
زلّت شراعي واستبد بها اللّجا جُ ببحرك المملوء بالأتعاب
خشّيَ المهرّأ رغوة في سطحه يلهو بها في موجه الغلاّب
وشراع قلبي ريشةٌ محمولة فوق الخضم الهائج الوثّاب
الحبّ كالكأس الدقيقة كسرُهُ سهل الحصول لأتفه الأسباب
الحبّ أنتِ كسرته :: أسرّتِه ووقفتِ في تياره المنساب

عزالدين الشابي

بـلال ...

قصة : محمد ابن الأصفر

فـرغ من استقبـال الحـرفـاء ومن معـالجة الملفـات ، نظـر الى سـاعته اليدوية ، لم تحن الساعة السادسة مساء وقد اعتاد انتظارها فالمواعيد مفتوحة مع الزبائن حتى اللحظة الاخيرة منها . أرست عينـاه على الـرائد الـرسمي للجمهورية التونسية .. تناوله ليطالع القوانين والتراتيب والبيوعات العدلية وليطلع على الحركة الاقتصادية بالبلاد من خـلال الاعلانـات الوجـوبية عنـد تأسيس الشركات . توقف عند قائمة الذين دخلـوا أخيـرا تحت سلطـان الجنسية التونسية والذين خرجوا عنها ؛ هذا جزائري الاصل ولد بالكاف أيام حركة التحرير ، والآخر أبواه من المغرب الاقصى ومسقط رأسـه بتـونس العاصمة ... وثالث ... ورابع ... قرروا ان يضعوا حدا لتناقضهم ما دامت دار الاسلام واحدة ودار العروبة من الخليج الى المحيط ... استـوقفه اسـم أوربي قرأه وأعاد قراءته « ر ــ ماريانى » عادت به الذاكر الى طفـولته يـوم كان عمره لا يزيد عن تسع أو عشر سنوات وكان يقطـن ومـا يـزال بحي (فرانس فيل) الاوربى وكانت فرنسا قد بارحت البلاد رسميا الا ان بعض الرعايا ما يزالون بها لتصفية املاكهم أو لمزيد الابتزاز .

التفت الى مساعده وأخذ يحدثه عن ر ــ ماريانى فقال :

« كان عم أحمد وهو (وارقلي) أسود اللون يعمـل عند آل ابن الشيـخ أحمد تلك العائلة الارستقراطية القادمة من عنابة الجزائرية فرحا بالاستقلال فلم يجد من وسيلة للتعبير عن فرحه الا بالصياح مذكرا الناس بواجبـاتهم الدينية من صلاة وصوم وزكاة ...

تبدأ رحلة عم أحمد كل يـوم من (فرانس فيل) لتنتهي عنـد المـدرسة الصادقية وقد أمسك بكل واحدة من يديه (المختـار) و (فيصـل) وتتجدد الرحلة عند الاياب ... لم يعجب ذلك المشهد ر ــ ماريانى ، ربما أوحـى له بالتحدي أو ربما أراد رد الثأر فمنذ أسابيع جاءت شاحنة رجـال المطـافىء

وصعد الجنود الى أعلى صومعة الكنيسة وقطعوا الصليب ... نزل ر ـ ماريانى من دراجته وأخذ قطعتين من حجر مستدير كالاسطوانة ثم عاد الى الدراجة وألقى بالحجرتين بكل حقد على عم أحمد ورغم انه خاب فى اصابته فانى قد صحت فى وجهه ... ... نظر لى وتحرك بعجلتيه نحوي وصفعنى بمجمع يده صفعة لم أعرف مثلها لا من قبل ولا من بعد ... لم يكفه ذلك فاستنجد ضدي بجون كلاود ابن البارازان ضابط الجندرمة الذى قتل زوجته وادعى انه كان بصدد تنظيف مسدسه فصدقوه وأخلوا سبيله وبعد بضعة أسابيع تزوج بشقيقة ر ـ ماريانى ... ... صحت فيه ماذا تريد يا ابن القاتل السفاح ؟ فركلنى برجليه فيما كان ر ـ ماريانى يضربنى بالعصا فى كل مكان ... وما هى الا لحظات حتى قامت حرب صليبية جديدة لم تشهدها بلدة (فرانس فيل) من قبل ... ... وكاد مسيو باربارا مدير المدرسة الفرنسية ان يطرد التلامذة التونسيين الذين نصرونى ولم أكن من بينهم ـ من حسن حظى ـ ففى عرف عائلتى لا تعليم الا فى مدرسة ـ خير الدين ـ بنهج التريبونال بالمدينة العتيقة . والا لكان قرر طردى بدون رجعة ... ...

ظللنا نتبادل الحقد والكراهية ؛ هم يتفاخرون علينا بدراجاتهم التى أصبحت نارية بعد مدة لتعوضها السيارات على مشارف سن العشرين عاما ، ونحن نتحداهم بأن الارض التونسية ، كل الارض قد عادت لنا ... ولعل أكبر فرصة اعادت الحقد الى السطح قدوم عائلة المهندس زاوول الى تونس فى نطاق التعاون الفني هذه المرة وقد كانت له بنتان دونيز وكولات فاتفقت مع صديق الطفولة والمراهقة عبد المجيد وهو زميلهما فى القسم بمدرسة مسيو بربارا ان تكون الشقراء من نصيبى لانى اسمر اللون وان تكون ذات الشعر الاسود له لانه أشقر ... ولم ندر كيف انقلبتا ضدنا ثم فهمنا ان ر ـ ماريانى وجون كلود وقد أصبحا صديقين لشقيقيهما قد استغلا تلك العلاقة ونجحا فى افشال حبنا الاول ولم يكونا يحبان لا (دونيز) ولا (كولات) اذ لكل منهما صديقة منذ الطفولة ولكن حقدهما علينا ما يزال قويا ... ... » .

استعرض المحامى تلك الوقائع بكل مرارة وأضاف قائلا لمساعده : « القانون سلاح ذو حدين ، هو رائع عندما تحترمه كل الاطراف والجهات فكم يطيب العيش فى دولة القانون ! لكنه سطحي بالمقابل ، انه سطحى مثلا عندما يشترط توفر جملة من المقاييس المادية ليمنح قيمة عظمى كالجنسية ... ر ـ ماريانى صفعنى بالامس لاننى لمته على ضرب (عم أحمد) المنادي الى الصلاة والصوم وهو اليوم مواطن تونسى مثلى ؟!؟ ر ـ ماريانى تونسى ؟!!

ما أسهلها ! المسألة رهينة اعداد ملف قانوني يستجيب لشروط ومقاييس معينة .

* * *

عاد المحامي الى الحي وأعلم اترابه بالخبر ـ اندهش بعضهم وقال آخر ان فرنسيي الشمال الافريقي منبوذون في بلادهم مبجلون عندنا لذلك خير ر ـ مارياني تبديل جنسيته لكن سامي وهو طالب بمدرسة الطيران المدني قد أتى بأحسن تفسير لتجنس ر ـ مارياني فهذا الاخير أيضا طالب بمدرسة الطيران وقد طالبوه بدفع مقابل ساعات التحليق لانه غير تونسي فكان من مصلحته ان يتجنس تفاديا للمصاريف الباهظة فزاد غيظ المحامي لان السبب لم يكن معنويا وروحيا وتفاقمت نقمته على منطق القانون . وكلما مر ر ـ مارياني وسلم عليه ـ بالعربية الفصحى ـ تظاهر بعدم رؤيته لانه يرى في سلامه تهكما وتحديا .

* * *

قبل المولد النبوي الفارط ببضعة أيام قصد المحامي مخزن بيع المواد الغذائية لاشتراء لوازم «عصيدة مولد المختار» فاذا بـ (ر ـ مارياني) هو أيضا يشترى اللوز والجوز والبندق ثم يضع القرطاس تلو القرطاس في العربة الصغيرة التى كانت تحمل طفلا صغيرا لا يزيد عمره عن بضعة أشهر ... اندهش المحامي ثم تغلب على حقده الدفين وسأل ر ـ مارياني عما اذا كان يقصد بذلك اعانة خادمته أو عائلة معدمة فأجابه بانه قد اعتنق دين الاسلام وان ذلك يقتضي منه اقامة كل الشعائر والاعياد والتقاليد ... لم يزد المحامي كلمة أخرى وكأنه لم يصدق قول ر ـ مارياني ... ... وعلى تعدد مشاكله ومشاغله أصبح اسلام ر ـ مارياني قضية تقض مضجعه ... ... ر ـ مارياني صفعه لانه دافع عن عم أحمد (وارڤلي) آل ابن الشيخ أحمد يصبح مثله تونسيا ثم مسلما ... ... ترى كيف أصبحت علاقة ر ـ مارياني بوالده العجوز الطاعن في السن الكومندان مارياني صاحب الصولات والجولات يوم الاستعمار لقد كان يسكن فيلا قرب قصر غالية صاحبة كل الارض المقام عليها الشق الغربي من (فرانس فيل) ويوم بدأ التونسيون يحلون محل الاوربيين شيئا فشيئا سرح في حديقته الغابية كلبا في قامة حمار ووضع على المنزل لافتة كتب عليها بالعربية (كلب مخطر ـ حذار) فضمن لنفسه تواصل الهيبة والوقار ثم قرر الكومندان مرياني أن لا يغادر الفيلا بالمرة وكأنه لا يقدر أن يواجه منقلب الاشياء وغاب عن الانظار كما لو أنه قد غادر تونس نهائيا مع

بنتيه حتى شاهدناه مرة فى سيارة تراكسيون وقد بلغت لحيته البيضاء سرته وقد يكون لم يحلقها منذ يوم الاستقلال وكان ابنه (ر) يقود السيارة التى يحلو له دائما تغيير لونها فمن برتقالى الى بني الى أسود ... ... ثم جاء ابناء عياد تاجر المواد الغذائية الذى قفل محله يوم لم تبق بالحي الا ثلاث عائلات أوربية بما فيها عائلة (ماريانى) وقالوا : إن الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان الموجود فى زيارة رسمية بتونس سيستقبل الكومندان مريانى باعتباره عميد من تبقى من الفرنسيين فى تونس ... ... قال المحامى : « أبوه عميد العنيدين من المعمرين الاستعماريين وهو تونسى ، لا أصدق ، لا أصدق ، لكنه أسلم ... استغفر الله » ثم سأل أحد ابناء عياد عما اذا كانت زوجة ر ـ ماريانى تونسية مسلمة ؟ ولما تأكد له ذلك قرر أن إسلام (ر ـ ماريانى) باطل مثل إسلام استاذه (ف ـ د ـ ه) ذلك الهولندى الاختصاصى فى النحو الفرنسى الذى قال له ولزملائه فى القسم بالمدرسة الثانوية : « إن مفتيكم ساذج لقد منحني شهادة فى اعتناق الاسلام بمجرد ان تظاهرت له بذلك فتمكنت من الزواج ممن أحب ولم نكن لا أنا ولا زوجتى لا مسلمين ولا حتى غير مسلمين » وكان يقول دائما : « أحسن ما فى بلادكم زوجتى والشمس والبحر وسجائر آرتى » وكان يدخن منها أكثر من علبتين فى اليوم ... كان المحامى يكره أستاذه الهولندى الذى تشاجر معه ذات يوم لما قال الاستاذ : « انكم تسيئون استعمال النقط والفواصل ونقط التعجب والسؤال ... الخ ... ولكم عذر تراثى وهو : أن قرآنكم لا يعرف النقط والفواصل ... » فأجابه وقد كان عمره ستة عشر عاما : « لا يا أستاذ ان القرآن لا يحتاج لنقط وفواصل لانه يتكون من سور وهناك علم مستقل بذاته هو علم القراءات وانت تجهله يا أستاذ » فسأله الاستاذ : « من قال لك ذلك ؟ » فأجابه : « إن والدى شيخ مقرىء وقد حاول ان يجعل مني مقرئا ففشل ثم يا أستاذ ان العرب كانوا يجهلون الترقيم الموسيقى على الطريقة التى حددها الاوربيون لكن ذلك لم يمنعهم من ان تكون لهم موسيقى » ومنذ ذلك الحين لم تتعد اعداده فى مواد الفرنسية منطقة المعدل بعد ان كان فى رأس الكوكبة .

* * *

اختلط كرهه لاستاذه (ف ـ د ـ ه) بحقده على ر ـ ماريانى فقرر ان اسلام هذا الاخير باطل بطلان اسلام الاول الذى صرح به علانية ثم قال لمن حوله بكل تشنج وتوتر : « أنا أفهم بل أدرك بحسي ان كان اسلام البالاران موريس بيجار عن طريق الرقص الصوفى المولوى وأنا أدرك أيضا معنى

اسلام روجي غارودي الذى كان بفضل الفن الاسلامي من منمنمات ورقش وحتى المسنديات لان الرحلة فى أعماق الباطن واحدة فى تجريديتها لكنى لا أستطيع أن أفهم اسلاما من أجل امرأة تنكح .

* * *

ذات يوم ساقت الاقدار للمحامي كهلا فرنسيا ولد بتونس ودرس فى كلية العلوم وقد كان يعمل بمخابر معهد (باستور) وقد اعتنق دين الاسلام هو أيضا تحدث معه قليلا فاطمأن له لانه علم من خلال الحوار ان اسلامه لم يكن لتجنب احكام قانون تأميم الاراضى الفلاحية ولا ليصون عماراته ولا ليتزوج تونسية ولدت مسلمة فهو فرنسى الى حد ساعة الالتقاء به ولا يملك لا عقارات فلاحية ولا حضرية وهو غير متزوج لا بتونسية ولا بغير تونسية ولا بمسلمة ولا بغير مسلمة رغم تقدم سنه وهو ينوي الزواج على كل حال متى ظفر بذات الدين فقد أعاد عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ... ... فاظفر بذات الدين تربت يداك » ... ... لم يترك المحامى الفرصة تمر ليسأله عما اذا كان عدد الفرنسيين المولودين بتونس الذين اسلموا كبيرا . فأجابه : بانهم قليلون وأكد له معرفتهم فردا فردا . فسأله عن ر ـ ماريانى وعن ظروف اسلامه ؟ فقال له : انه صديق حميم أصبح أخا فى الله وفى الاسلام وانه هو المتسبب باذن الله فى هدايته مؤكدا ان اسلام ر ـ ماريانى لم يكن من أجل امرأة ينكحها بل ان زواجه جاء فيما بعد ليظفر بذات الدين وقد تربت يداه فعلا .

كانت كلمات الكهل تنفذ الى قلب المحامى دون ان يحيط بها الشك وقد انتابه شعور بالاثم فى حق ر ـ ماريانى لم يبارحه الا عندما استطاع تبريره ـ آليا ـ بضرورة الشك المنهجى فالشك طريق الى اليقين .

بعد صمت طويل روى المحامى قصة طفولته مع ر ـ ماريانى للكهل الفرنسى وقد ركزها على (عم أحمد) الوارثلي ففوجىء بأن الكهل يعرفها وقد أضاف له على لسان ر ـ ماريانى ان هذه الوقائع بقدر ما كانت تلهب النار فى صدره فانها أصبحت تثلجه حتى انه أصبح يطلق على (عم أحمد) اسم (بلال) لانه كان كمؤذن الرسول فى نضاله يضربه بالحجارة وهو لا يتوقف عن النداء للصلاة والصوم والزكاة ولا يعبأ حتى بالبحث عمن ضربه ، ان ر ـ ماريانى ينوي ان يكون ثواب حجته الثانية لـ (عم أحمد) وارثلي آل ابن الشيخ أحمد أو لبلال كما أصبح يسميه .

فيفرى 1983

محمد ابن الأصفر

لكلّ سفينٍ مرافئ

شعر: محمد الأمين الشريف

لكل سفينٍ مرافىء
وللنورسِ المنزوي في فجاج البحار
بوارجْ
ولي في لحاظك — نادلتي —
ساعة البوح
ايكةُ عشق
ومتكأٌ
ومفاجعْ
ولي ساعةُ الخوفِ
غابةُ أسئلةٍ ومواجعْ
أنا الآن موْعودتي مُتعَبٌ
تتوعّدُ حبّي فخاخُ البلابلْ
وَتدْحُو دروبي أسى وفواجِعْ
فيا للمهازلْ .!

* * *

هو العمرُ مسكةُ وقتٍ — مُعذّبتي —
فعلامَ نضيعهُ في اجترار الظنون !
دعي الحشراتِ تمضّغُنا في مجون .
فلا ضيرَ من هلْوسات الجنون .
وهيا — مليكة روحي — اسكنيني
وكوني رجاءً يبيدُ أنيني
وحلما نضيرًا
يذيبُ حنيني
وفجرًا ضحوكاً
يجيشّ نشيدي
وكوني أريجاً
يلقّحُ في القلبِ حبًّا أليفاً
وكوني فراشا
يؤمّنُ رِحلةَ عشقٍ لنا

في صميمِ الوجود
تُضيعُ الصبا
والصبابةَ
والصبَّ وَجْدًا
وتُسكرنا من رحيقِ الخلود
* * *
لكلّ سفينٍ موانيٍ
وللنورس المنضويِ
في عُبابِ البحارِ مراسيِ
ولي في رحابكِ يا بلدي
ساعةَ اليُسرِ رغدٌ
ومنتزهٌ
وحوَاريِ
ولي اخوة في العروبةِ ..
ملءَ الفؤادِ اعانقهم
وببؤبؤِ عيني أخبّئهم
حينَ تغزو السحالي فساطيطَهم
والصقُورْ
رفاقٌ اليهُمْ .. وتندى الاساريرُ
شوقا
وتهرعُ أرواحُنا والنشيد
ولي في هواهمُ أمنيةٌ سَمْحَةٌ
أنْ تُلمّ الربوعَ إلى اصلها والقلوب
ولي – لائمي – في التعقّب سرّ
أسوقُه جهرًا بكلّ يقينٍ
أنا عربيّ
جذوريَ ضاربةٌ في امتداد العصور
امتطيتُ سنامَ الحضاراتِ
منذُ مئاتِ القرون
وما حاضري غيرُ سوْط
يؤهّلني لركوبِ النجومْ .

محمد الأمين الشريف

مجموعات شعرية تونسية

يا حادي الطلق	**محمد الأمين الشريف**
الجرح المسافر	**محمد علي الهاني**
ملصقات على جدار الذاكرة	**حميده الصولي**
كتابات على حائط الليل	**عبد الله مالك القاسمي**

مشكلة المرأة ورواية " عائشة "

ضمن الروايات العربية الحديثة

بقلم : محمد أنور بوسنينة

إن النظرة الى الرواية ومدى قيمتها في مجال الفن الادبي ما زالت غامضة رغم ما وجد في مجال البحث والدراسة من أعمال نقدية سواء كانت في مجال البحث الشمولي العام ، أو في مواجهة الاثر ذاته نقدا وتمحيصا ولعل أول من أشار الى هذا المشكل الشائك الدكتور محمود حامد شوكت في دراسة قيمة نشرها بعنوان « الفن القصصي » (القاهرة 1956) .

وقد كان بحثه متشعب الاطراف ، وزعه بين الرواية والقصة القصيرة والمسرحية ثم كان من بعده الدكتور عبد المحسن طه بدر الذي نشر حول هذا الموضوع كتابا قيما بعنوان « تطور الرواية العربية الحديثة في مصر » (1870 ـ 1938) ضمن دراسة مستفيضة قيمة حول الرواية العربية (نشر دار المعارف بمصر القاهرة ، 1968) .

وبادىء ذي بدء نشير الى أن الرواية العربية قسمت الى رواية تعليمية ورواية تسلية وترفيه ثم الرواية الفنية وأخيرا الرواية التحليلية ومجالها ينحصر في اثبات الشخصية وابراز ضغط الواقع السياسي (استعمار.. حكم قاهر ..) وضعف الطبقة الكادحة ثم الاشارة الى وضع المرأة عموما وما هي فيه من حال رديء يساهم في تأخر المجتمع ودفعه الى هوة الحضيض والانكسار ، ثم الارتباط بالواقع ، والالحاح على شعبية البيئة والابطال وكذلك التحول في تصوير الشخصية من المثالية والتجريد الى الواقعية واخيرا استعمال طريقة الحوار ضمن الاثر .

وضمن هذه الهيكلية تندرج رواية « عائشه » للاستاذ البشير بن سلامه (تونس 1982) وتتضح المعالم المشار اليها حين دراسة الاثر بنظرة تحليلية فاحصة .

أما رواية الترجمة الذاتية فتغلب عليها مسحة الرغبة فى تغيير قيم المجتمع وابراز حدة الصراع بين القديم والجديد وكذلك العمل على تحرير الفرد وابراز وجوده واستقلاله الذاتى واشهر افراد هذا الاتجاه طه حسين ، عباس محمود العقاد ، المازنى والحكيم . وهؤلاء باستثناء الحكيم فقد كانوا أكثر انتماء الى الطبقة الوسطى المصرية سواء من حيث الاصل والنشأة وأيضا باستثناء المازنى (ولد وعاش فى القاهرة) عاشوا طفولتهم وفترة من صباهم فى قلب الريف المصرى .. ونلاحظ فى ايجاز بان الرواية أو القصة القصيرة لم تكن فنا أدبيا معترفا به من كبار المثقفين بل كان الشعر العربى هو الفن الادبى المسيطر وان الكاتب القصصى له سمة المعرة أو الصفة التى تخدش المهنة حتى اننا نلاحظ بأن الدكتور محمد حسين هيكل لم يجرؤ لوضع اسمه على روايته الا فى سنة 1929 (الطبعة الثانية) وهى نفس السنة التى قدم فيها طه حسين كتابه الايام (الجزء الاول) وبعد أن أصبحت البيئة أكثر استعدادا نسبيا لتقبل مثل هذ العمل الجاد .

يقول هيكل فى تقديمه لراوية « زينب » :

« لما بدأت اشتغل بالمحاماة فى الشهر الاخير من تلك السنة (1912) بدأت أتردد فى النشر وكنت كلما مضت الشهور فى عملى الجديد ازددت ترددا خشية ما قد تجنى صفة الكاتب القصصى على اسم المحامى ... (طبعت الطبعة الاولى باسم « مصرى فلاح » سنة 1914) .

هذا والملاحظ بأن جل الروائيين من المدرسة الرائدة والتى أشرت اليها سالفا حاولوا نقل الرواية الى الواقع والتعبير باحساس واقعى يكاد يكون معاشا حقيقة وهذا المنحى والاتجاه أدى بالبعض منهم الى خلق الشخصيات الشاذة والمنبتة وأحيانا التعبير عن حياة الكاتب الخاصة ومحيطه ومشاكله الذاتية حتى كانت الرغبة فيما بعد الى اعادة الكتابة بوجهة نظر أخرى تتمثل فى اختيار الرواية التاريخية لتعبر عن الاحساس القومى ، والشعور بالتجذر الاصيل كما فى رواية « برق الليل » للبشير خريف أو روايات جرجى زيدان المشهورة وهذه تكاد تهدف شكلا ومضمونا الى مجرد تعليم التاريخ .

هذا وقد تغيرت النظرة فى الشرق إثر الحرب العالمية الثانية الى طريقة أخرى تستلهم من التاريخ المعانى التى تدفع الى سبيل المستقبل ومن بين رواد هذه المدرسة عبد الحميد جودة السحار ثم وإثر هدوء الحماس العاطفى رجع

الارتباط بالواقع ومحاولة فهمه وأبرز الكتاب تعبيـرا عن هذا الاتجاه نجيب محفوظ الذى استمد الكثير من عناصر عمله من علم النفس ثم انطلق متحررا من القيود ليقدم الواقع بكل تفاصيله ومشاكله وآلامه ...

ودائما تبقى مشكلة المرأة فى المجتمع العربى قائمـة والبحث عن أصـول ومقومات المجتمع ونصفه الثانى مشكلة قائمة فجرجي زيدان عنون ثمـانية كتب بما يلى :

أرمـانوسة المصـرية ـ طبعت :	1889
عـذراء قـريش	1889
فتـاة غسـان	1892
غـادة كـربـلاء	1901
عـروس فـرغـانـة	1908
العبـاسـة	1911
فتـاة القيـروان	1912
شجـرة الـدر	1914

ومحمد حسين هيكل عنون روايته بـ « زينـب » وهو زيادة عن احساسه بالواقع المصرى وعلاقته به مع بقاء الحنين الى الريف وهو فى فرنسا حيث كتب القصة كان جو الريف مقصده ووسيلة تعبيره مع ابراز مأساة «زينب» حيث كان يحاول من خلال الاحداث اظهار العلاقة الحرة بين الرجـل والمـرأة واذا كان المؤلف قد حاول عن طريق شخصيـة حـامد أن يعبـر عن القلـق والضياع فانه حاول بشخصية « زينب » تصوير أخلاق الريفيين وعـاداتهم وكما كانت المشكلة الاولى التى تحتل تفكير المؤلف هى مشكلة العلاقة بين الرجل والمرأة فقد نبعت مأساة « زينب » من نفس المنبـع الذى نبعت منـه مأساة حامد .

أما طاهر لاشين فقد عنون روايته التى صدرت بتاريخ 1934 بـ « حواء بلا آدم » والمؤلف لم يقدم شخصية حواء كشخصية شاذة أو غـريبة أو طـريفة وانما يقدمها لنا كشخصية سوية تناضل لشق طريقها فى الحياة .

والعقاد فى روايته « سارة » التى نشرت سنة 1938 يجعلنا نشعر بأننا تجاه عمل يخالف ما هو متوقع حيث يتجه الى تحليل طبيعة الانثى الى درجة أننا فى الامكان اطلاق اسم « عبقرية الانثى » على التأليف وأحداث الرواية كلها تلتقى فى منطقة واحدة هى «الشك» الذى تبدأ به الرواية واليه تنتهى...

وقد كان لأحمد شوقى نصيب فى هذا الميدان فله رواية « عذراء الهند أو تمدن الفراعنة » وقد نشرت أول مرة بالاسكندرية سنة 1897 .

ولعيسى عبيد رواية بعنوان « ثريا » نشرت سنة 1922 (القاهرة) محمد فريد أبو حديد رواية « ابنة الملوك » وهى فى جزئين (1928) والسعيد محمد له رواية «فاطمة أو الفتاة المعذبة » (1931) ويوسف بحرى رواية « فتاة الثورة العرابية » بدون تاريخ وفى عمل مشترك أصدر محمد الهيدى ومحمد كامل فريد رواية « زينب محمد » : مذكرات وصيفة مصرية ، وهى فى سبعة أجزاء ونشرت سنة 1927 . الخ ...

أما رواية « حليمة » لمحمد العروسى المطوى المحرزة على جائزة بلدية تونس العاصمة سنة (1962) فان الكاتب رغم ما أودع فى طياتها من أحداث كلها تتصل بفترة المقاومة قبل الاستقلال فان عنصر المرأة يبقى غاية فى كثير من الفصول ـ المرأة الصبور ، (أم حليمة) أو المرأة المناضلة من أجل التحرر والانعتاق (حليمة) .

أما رواية « عائشه » للبشير بن سلامه فنطوى المراحل بسرعة لنشير ما أشرنا اليه حين حديثنا عن رواية « زينب » من أن مشكل حال المرأة ورغبة المساواة بينها وبين الرجل كما فى رواية « زينب » يبقى قائما :

« وكان خالد يسر الى أصدقائه قائلا : يجب أن نتخطى هذه النفسية البدائية ولا نعتبر المرأة متاعا وشيئا خلقه الله لارضاء شهوات الرجل وخدمته خدمة العبيد ، إن المرأة لها كرامتها وهى انسان حر مثل الرجل يجب أن تعامل معاملة الحر الكريم ... » « عائشه » ـ صفحة 160 ـ واذا ما ألح الكاتب فى ثنايا الرواية على جانب القهر والظلم المسلطين عهد الحماية والبايات على الشعب التونسى الكادح المغلوب على أمره ، مع ابراز صفة الجشع الذاتى والتكالب على اللذة والفسوق والمجون ، مع كل هذا يبقى للمرأة هذا الجانب

من الاهتمام بها وبمآسيها المتلاحقة حتى النهاية بل حتى وفاة البطلة فى آخر القصة وهذا ما نلاحظه أيضا فى قصة «الدفلة فى عراجينها » للبشير خريف حيث كانت نهاية العطراء شبيهة بنهاية « عائشه » ، طفولة فصراع اجتماعى أليم فخاتمة مؤلمة ومأساة فظيعة ... ومع « عائشه » نساء أخريات كـ « فريق العجائز » و « أم الطاهر » و « دوجة » .. الخ ...

هذا ولنا أن نشير بأن رواية « عـائشه » مساهمة جدية فى حقل كتـابة الرواية باعتبارها فنا أدبيا جديدا مستحبا فى الادب والذى نحن ما زلنا فى حاجة أكيدة اليه حتى يتبوأ النثر مكانته فى مجال الذوق والاحساس والتعبير عن أرق المشاعر وأرهفها ووصف أدق المواقف من حيث نقل الصورة بلا زيف أو تشويه وفى ذلك صدق الاديب فى التعبير والتصوير وما غير ذلك يكون الادب .

بقي فى النهاية أن ألاحظ بأن الاستاذ البشير بن سلامه يكتب القصة منذ سنين بعيدة ، وقد مارسها وخبر أغوارها وأبعاد غاياتها شكـلا ومضمونـا وبالرجوع الى قصته « علـي الغـافل » (المنشورة بمجلة « الفكـر » العدد التاسع ـ السنة السادسة ـ جوان 1961) نجد سطورا رائعة من العمل الفني الخلاق والنسق الروائى العميق فى تبسيط لواقع تاريخى وظرف مؤلم عاشه الشعب التونسى فى قبضة الحماية الدخيلة التى كان جندها يشرف أيضا حتى على حـرس البـاي وكيف كان المستعمر يعبث بأبناء الامة ويبعث بهم لقمة سائغة فى أتون الحرب العالمية الاولى بلا رحمة أو شعور انسانى ...

وإنها لصور رائعة ووطنية صادقة تمثلها رواية « عـائشه » برسم ملامح « الـرومى » المستبد ، وجو « الطبجيـة » القديم ، و « القشلـة » المحـرمة و « الكرافـاش » المؤلم والعهد الظالم المظلم وفى النهاية التعرف على خفايـا الطبقة المترفة الغارقة فى الملذات والنفاق والرذيلة ...

محمد أنور بوسنينه

رؤى في الشعْر .. والبحر .. والغناء

شعر : عبد الله البليطي

① رؤى فى الشعر :

عتيا جاءت الريح
وجئنا نبتني بيتا
بأغصان من التوت
وأطراف من السّعف
وكنا نشتهي رطبا
وألبانًا
مذاق الشهد والسكر
بتولا كانت الناقه
وذاك النخل لمْ ينعْ
فكيفَ الرتع نرجوه
بعام الجدب والصفع ! ؟

★ ★ ★

عتيا عادت الريح
وعاد الجدبُ يقفوها
وعدنا نبتني بيتا
رؤى في الشعر والجمر
ووثر البيت من نشب
حزيز اسماك الركن
فهيا .. وابدئي عصفا
وزيدي عصفك العصف
فما أنت
سوى الدمنهْ
هنا البيتُ
هنا الشعرُ
هنا الأعصار والفيضُ
ومن لا يرتضي هذا
غباءً يفهمُ الشعرَ
فهيا .. وابدئي عصفا
وزيدي عصفكِ العصفَ
فما أنت

سوى اللعنه

② رؤى في البحر

نخيلا كانت اللثمهْ
وكنا قاب قوسينِ
ورمانـًا وأعنابا
ورهبانا تدانينا
يشب العشق في اليشم
نجيلا أخضر الومض
رتاعا تغرق الخفق
وتغريه بلا رفق
فيا راحات من أهوى
تعالَي .. واملئي بوحي
رذاذا بَرْعَمَ العمرَ
بلاشطآنَ .. لا مَرْسى
أنا المسكون بالرغبهْ
أنا المجنون بالفتحِ
وباللفحِ
وبالرؤيا
ألاهيا الى تيهي
شراعا يأسر البحرَ
وألواحا مشردة
غزتها الشعلة الكبرى
فأنت الكأس أدنوها
جهارا كان أم سرًّا

③ رؤى في الفناء

هو الإشراق يجتاحْ
تخوم التيه والرهبه
له الأروح ترتاحْ
ويصحو واهج الرغبه
له الأشواق ، والشوقُ
لاغراق بذي الطلعه
هو اللهْ
هو الحقْ
وأيٌّ مثلهُ رقه
لهذا الفيض أدعوها
سنيي الريبِ والخوفِ
لها المرجان أقتادُ ..
وسيم الكحل بالطرفِ
نقيا يبهر الدنيا
ويغزوها بلا وصف
فينهد الدجى الريبي

أمـام الرب واللطفِ
فيـا الأرواح ما الغـيّ ! ؟
ويا التفكير ما الحيفُ ؟
أضحـل العشـق يثنينـا
أم الأوحـال والـزيفُ
أم اللـذات تنسينـا
فنشتـدُّ
ونلتفُّ
بـه قـد أبحر الوجدُ
ومنـه يقبس الـكشفُ

★ ★ ★

حبيبـان ..
مـن الـوشي
بمشكاة من الخفقِ
رحيقٌ لامس العطـرَ
صفاء الآه للعشـقِ
لقد كانا صفيين
بهـاء الخيـر للصـدقِ
لقد كانا بهيين
وأيُّ الحب كالحقِ ؟

عبد الله البلطي

الشاعر الاسباني : بيثنتي الكسندري 1898

تقديم وتعريب : د. عبد الله حمادي
(الجزائر)

ـ حيـاته وآثـاره :

ولد الشاعر الكسندرى فى 26 أفريل عام 1898 بمدينة اشبيلية الاندلسية كمعظم شعراء اسبانيا ، لكن بحكم مهنة والده لم يطل به المقام بها فرحل والده الى الجنوب الشرقى بجوار البحر الابيض المتوسط حيث استقر بمدينة مالقة ، وكان الشاعر آنذاك لم يتجاوز العامين من عمره فاقـام بها تسـع سنـوات وبعدها رحل الى مدريد .

لكن هذه الخلفية القصيرة نسبيا تعتبر فى حياة الشاعـر المنهـل الاول والاخير الذى ظل يرافقه طوال حياته ويمده بقدسية الكلمة المشرقة . فمنـذ ان بلغ سن التعلم ألحقه والده بمدرسة الراهبات بمالقة فتلقى عليهن ، فشب الشاعر فى سكونهن العميق ، خجول الطرف ، دقيق الاحـاسيس ، رهيـف المشاعر ، منطوى النفس ، يشحذ من كيانه اكثر مما يستلهم من خارجه وبهذه الدروس الاولى كون الشاعر خليفته الصلبة التى مهـدت لـه سبيـل مصير المستقبل،لان حالته الصحية ما لبثت ان تدهورت فأبعدته فى جو الحياة العملى وقربته من جوها الروحانى ، لذا خلص شعره فيما بعد للتأمل وجاء مغـايرا لرفاقه من (جيل 27) .

فارق الكسندرى مالقة الاندلسية عام 1910 واستقر بمدريد وبها واصـل تعلمه الى أن أجيز فى القانون ، وظل بعيدا عن الادب اللهم بعض الاطلاعات الفردية التى ما انفكت أن استلته من ميدان اختصاصه لتلقى به فى احضان مصيره الذى كان ينتظره .

والسبب فى ذلك أيضا يعود الى تعرفه على بعض الشعراء أمثال دامسو ألنسو الذى كان يشير عليه من حين لآخر ببعض المنتخبات الشعرية فيلتهمها الكسندرى بشغف الجبلة والفطرة وظل مواصلا فى هذا الدرب الى ان توطدت علاقاته مع من سيصبحون رفقاء جيله جيله المعروف بجيل (27) . لكن سوء طالعه ما فتىء ان أصابه فى والديه وفى صحته مما جعل القدر يفرض عليه العزلة والوحدة . وربما الكسندرى من بين رفاق الجيل ، الوحيد الذى لم ينعم بتلك الايام والليالى التى طالما انتعش بها نيرودا ولوركا وألبرتى وغيرهم فأيامهم مشهودات معلومات بمدريد ، وحاناتهم ومنتدياتهم لا تزال تزار الى يومنا هذا تذكر بماض شعرى أحرز على الريادة الاوربية .

أما نصيب ألكسندرى فكانت الوحدة القاتلة ، والشوق الدائم الى حبيب يفد من خلف الظلام ومن عوالم فراديسه المفقودة ؛ فكانت حرائق الشاعر تتجه نحو الداخل باستمرار فيتعامل مع كل الاعماق ، النفس ... الطبيعة ... الفكر وقلما اهتم بظواهرها الخارجية ، ومن هذا المد الداخلى خلد ألكسندرى فى سجل الابدية الاعمال التالية :

1 ـ نشر أول ديوان له عام 1928 بعنوان « البيئة » وهو ديوان صغير طبع بمطابع مجلة ليتورال المالقية تنعدم فيه تقريبا الرؤية الواضحة ، يحدوه وهج الفرح والتغني الرومنسى وينفح منه رحيق شعراء كبار أمثال سلفادور رويدا ، المالقى ، وشاعر نيكاراغوا روبان داريو ، والشاعر الانطباعى الاندلسى خوان رامون خيمينيث .

2 ـ فى سنة 1930 صدر ديوانه الثانى « عاطفة التراب » بمطبعة فابلا بالمسيك ، ويعود تاريخ كتابته الى سنة 1929 كما يذكر فى مقدمته وتأخره كان لظروف مطبعية .

3 ـ فى سنة 1932 صدر ديوانه « سيوف كشفاه » ويعتبر هذا الديوان بداية مرحلة جديدة ، وهى المرحلة التى بدأت تنضح بالجاذبية السريالية .

4 ـ فى سنة 1935 صدر ديوانه « التحطيم أو الحب » بمدريد ، وقبل صدوره الى القراء كان قد حصل به على الجائزة الوطنية للآداب عام 1933 .

5 ـ فى سنة 1944 صدر ديوانه « ظل الفردوس » بمطبعة أدان بمدريد ، [وكان لى الشرف ان أتلقاه هدية من يـد الشاعـر ببيته بمدريد وذلك يوم الخميس 24 جوان 1976] .

6 ـ فى سنة 1950 صدر ديوانه « دنيـا العـزلات » بمطبعة مكتبة كـلان بمدريد ، لكن تاريخ كتابته كما يذكر فى مقدمته يرجـع الى مـا بين 1934 ـ 1936 . وسبب تأخر صدوره اندلاع الحرب الاهلية (1936 ـ 1939) .

7 ـ فى سنة 1950 صدر ديوانه « قصائد فردوسية » طبع بمطبعة أرويـو بمـالقة .

8 ـ فى سنة 1953 صدر ديوانه « الولادة الاخيرة » بمطبعة إينسلا مدريد.

9 ـ فى سنة 1954 صدر ديوانه « حكاية القلب » بمطبعة إسباسـا كالبـى بمدريـد .

10 ـ فى سنة 1956 صدرت مختارات من شعره قام باختيارهـا وتنقيحهـا بنفسه وسماها « قصائدى المختارة » طبعت بمطبعة قريدوس مدريد .

11 ـ فى سنة 1960 صدرت له مختارات تحت عنوان « مختارات من قصائد الحب » بمطبعة لوصادا بوينوس آيريس الارجنتين .

12 ـ فى سنة 1960 صدرت له مجموعة الاعمال الكاملة فى مطبعـة أقـلار مدريـد .

13 ـ فى سنة 1961 صدر له ديوان « بيكاسو » بمالقة .

14 ـ فى سنة 1962 صدر له ديوان « فـى ملكـوت الحـب » بمطبعة مجلة الغرب مدريد .

15 ـ فى سنة 1965 صدر له ديوان « حضـور » « أو مشاهـدات » بمطبعة ساكس برال برشاونه .

16 ـ فى سنة 1965 صدر له ديوان « صـور بأسمـاء » مطبعـة البـاردو برشلونه .

17 ـ فى سنة 1968 صدر له ديوان « حيـاتـان » بمطبعة كراريس خوزى ماريه مالقه .

18 ـ فى سنة 1968 صدرت أعماله الكاملة ، المجموعة الثانية بمطبعة أغلار مدريد .

19 ـ فى سنة 1968 صدر له ديوان « قصائد النضج » مطبعة بلاثه اى خانيس برشلونه .

20 ـ فى سنة 1971 صدرت له « منتخبات البحر والليل » جمعها وقدم لها الاستاذ خ. لوستالى مطبعة البراق مدريد .

21 ـ فى سنة 1971 صدرت « منتخباته السريالية » قام باختيارها بنفسه وطبعت بسيكس برال برشلونه .

أعماله النثرية :

1 ـ « فى حياة الشاعر : الحب والشعر » هذا الكتيب موضوع البحث الذى تقدم به للمجمع الملكى عام 1950 فأحرز به على مقعد دائم الى يومنا هذا . ونشر هذا العمل بمدريد .

2 ـ « مميزات جديدة فى الشعر الاسبانى المعاصر » طبع بمدريد عام 1955 .

3 ـ « لقاءات » طبع بمطبعة قوادراما (واد الرملة) بمدريد عام 1958 .

هذا كل ما استطعت الاحاطة به تقريبا ، وأظن أن ديوانا أو ديوانين قد صدرا للشاعر بعد هذا التاريخ ، ولكن الحظ لم يسعفنى للاطلاع عليهما لكن ألكسندرى الشاعر الناضج تمثله هذه الاعمال احسن تمثيل وبفضلها تـوج بجائزة الآداب الوطنية وأخيرا بجائزة نوبل عام 1976.وشعر ألكسندرى ترجم الى أغلب لغات العالم وعلى وجه الخصوص الانجليزية والفرنسية ، كما أنه حظي بدراسات جادة ومن أشهرها دراسة الاستاذ الشاعر كرلوس بوسونيو حيث نال بها شهادة دكتوراه الدولة عام 1950 . ويعد استاذنا بوسونيو خير من ولج فى دراسته لاعماق الشاعر وأذكر أننى حضرت محاضرة ألقاها حيث عالـج فيها الصورة الشعرية عند ألكسندرى وكان بحضور الشاعـر فما ان انتهى المحاضر حتى قام الشاعر وقبله واثنى عليه وقال له : « مـا كنت لاعتقـد اننى أعني كل هذا فى شعرى » !.

واليك المختارات الشعرية :

الـضـيـــاء :

البحر ، الأرض ، السماء ، النار ، الرياح
العالم الأزلى الذى نحن فيه كائنون ،
الكواكب البعيدة المدى التى كأنها تترجانا
والتى تبدو أحيانا كيد رشيقة تداعب الأعين .
هذا الضياء المنعش الذى يصل ليستريح على الجبين
من أين وصل ؟ من أين أتيت أيتها الحالة الغرامية ؟
التى أستنشق أحاسيسها ،
والتى أحسها كصدر ينغلق عن ألحان موسيقية ،
أو كهمس نقرات آلة ملائكية ،
أو اخالها زجاجية مثل صخب العوالم .
من أين جئت أيتها البردة السماوية المنبعثة
كوميض شارق ؟
تداعبنى جبينا يحيا ويتألم ، ويعشق ككل كائن .
من أين أنت أيها الباعث لعهد الذكرى المحرقة
من المكواة التى تدع أثرا ؟
مثلما ترشدنى لرأس متعب يفقه وجيبى
هفيانك بلا أنين ، وحشرجة ، وقبالك الباسم كشفاه
تنزل من الأعالى ،
همس سريرتك فى السمع المنتظر يوجع وينبعث حلما
يتفوه باسم لا يقدر على ترديده سوى شفاه براقة .
أنك تراقب الآن بعينيك هذه الدويبات
الرهيفة التى تحوم حولنا فى الارض ،
تسبح فى حضرتك ، أو تدرج فى سكون هادىء

(من ديوان التحطيم أو الحب)

سافرة عن وجودها ، مخبأة فى صمتها
ولا يسمع من نشيجها سوى نبض الدم الفائر .
متأملا فى جلدنا ، فى جسدنا المرئى
الذى تسفر عنه ، فيالك من ضياء أجمل من بعثه !
ضياء ما يزال يصل كنشوة من شفاه ،
فى شكل أسنان ، أو قبلة متضرعة
مع حرارة جلد لا يزال يتعشقنا .
خبرنى ، خبرنى من أنت ؟ من ينادينى ؟ من يحدثنى ؟
من الصارخ ؟
خبرنى من هذا المبعوث البعيد الذى يستغيث ،
أى نحيب أسمعه أحيانا لما نصير دمعه ؟
آه أنت ! أيها النور السماوى المرتجف ،
أيها الأمل
أيتها الأمنية المعبودة من قبل صدر لا يدركه الفناء .
لصدر يتضرع مثل ذراعين طويلتين ،
قادرتين على احتضان حزام خصر الأرض ،
أية أويقات بطيئة محجوبة لعوالم قصية ؟
لعوائم عشاق ما اشتكوا قط تباريحهم ،
لعوالم أجساد ، لعوالم أرواح ثابتة
لعوائم الأجواء اللانهائية التى تصلنا فى سكونها .

د. عبد الله حمادي
(الجـزائـر)

الليل ... لحن الوفاء

رواية : مصطفى المدايني

ـ 3 ـ (*)

كان صاحب النظارات كثير الالتفات . صمتما . تنحنح رجل يجلس فى المقاعد الامامية ، يضع « بيرية » على الرأس ...

تناومت .

همت برحيق طفولى .

الارجوحة لا تستقر ، والطفل يرمق عالما كئيبا ...

قال أنور : كان مشوارى طويلا ...

وتعاوده الذكرى . صقيع الايام ودياجى الاحلام . وتوترات بادية فى الافق السرمدى . وتتجافى داخله الاوهام فينحاز لنقطة البدء . والآلام تعتصر .. هل فهم العصر أم هو الفشل والاغواء القطار يتحرك الى أمام وكل شىء مرتبط بدوافع المحق والاقتتال وصخب الايام رهين نظرة ، إشارة ، كلمة ، تلميح . كذا الاهواء هى انتشاء وموت .

يتوقف القطار . يصعد الركاب . ينزل آخرون . تتغير الوجوه وذاك الرجل صاحب النظارات يرمق الاعين فى تجل وتعر فاضح . هل هى الدمائة أو البحث عما وراء الاقنعة ... المهم هذا الوجه ليس بالغريب .. لكن أين كان التعارف ومتى !؟ هل هى السنون تمضى تباعا ، مباعدة بين الناس ؟ ثم عم ولم وكيف .. هو ساهم باحث فى الوجوه المترعة كانه يبحث عن الذوات التى طالما عاشرها ... أنور أيضا تساءل عن الحقيقة ... ورغم ان العهد الذى كانا فيه يحملان بذرة التحقيق قد انفلت فان السؤال المبهم ما زال يرن من الدواخل محدثا ضربا من الارتباك ...

وسمع المحامى وأنور صيحة عالية من العربة الجانبية تلاها صمت . الكل مشدوه . وكأنما العالم انجرد لكى يترك للدم حرية الانسكاب ... لم يتوقف

(*) انظر « الفكر » ع : 7 و 9 ـ س : 28 ـ جوان 1938 .

القطار شأنه شأن القدر وكان أنور قد تشبع برحيق جديد ... فأعاد بصوت مسموع : كان مشوارى طويلا ...

زرت اسبانيا قبيل الحرب . الانهار هناك مترعة . الاضواء المتلألئة فوق المياه ترتعش عذوبة . والقصور المذهبة الجوانب تستقبل الشمس مع تغاريد عصافير الصبح ، والنوارس على حواشى السفن مزهوة مغردة ... والاحداق نائية الالم المحسور الى الدواخل لا أروع ولا أجود . اللعبة المفضلة هى المصارعة ... الاسبانى يسألك منذ البدء عن آخر فرجة هو ولوع بالقتل والاقتتال ... ليالى مدريد الشتائية دافئة رغم الرياح العاتية ... تذكرت الفا .. وهى تخرج لملاقاة الريح تستنشق الصفاء فى هيام وتقول : أموت متنفسة عذوبة الهواء البحرى ... اما نسرين ... نسرين الرأفة نسرين اللبنانية المنشأ فهى تعوم فى بحر الثلج قائلة :

انى اذ أتعمق انعتق ...

أنا أيضا لحظتها كنت أمارس الانعتاق من ذات شبه ميتة ... وتنتهى الاسطورة ، ويموت فجأة فرس عربى ، جواد أصيل على حافة السنديان ...

يواصل أنور : مارست مهنة المتاعب . صحفى متطلع . العقل منى متوثب الى المعرفة ... غايتى الموت علما ومعرفة .. لا أعرف النكوص على الاعقاب... لا استجمع قوتى وذاكرتى الا اذا ارتبط الامر باكتناه الدواخل الدفينة ... قال لنا الاستاذ الاول : العلم نور .. قلت : العلم فناء لا بد منه ... وأرد أن استوعب الزمن القاتل . خرجت هاجرت ... لم أكن متفوقا ابان الدراسة الاولى ... لكنى فى الاخير علمت انى الرجل الذى يحق له ولوج كل الدواخل ... التقنية ... الحضارة الغربية فى أدق مظاهرها الاكتشافات العملاقة فى مبدا من الذرة والرياضيات ... اكتنهت كل شىء .. وحاولت. التوفيق ... ومبدئى كان اللا استقرار ... واثناء الرحلة زرت الاصقاع . وأينما يوجد الثلج كنت اليه أطير ... أشعر انى اليه مدعو . أتعمق الاعالى.. ولا أبالى .. فى جبال الآلب تغيبت ما يقارب السنة . أراسل الصحف فى كل مكان ... تطوعت للترجمة وكتابة الاساطير لخفيفى العقل . كتبت الكثير... منها ما مثل وقدم عبر الشاشة الكبيرة .. قال البعض : هذا الافريقى أفاك... هذا الآتى من الجنوب يجنح بنا عبر متاهات ادغال سمراء .. وقال الخصوم : رجل مدع ، لا مبادىء له يتاجر بمعارفه الارسطقراطية ... ولا يعترف

بهزيمة ... احببت عندئذ : الفؤاد يموت اذا افتقد الدم القانى ... ومستعد لان استقبل الموت بحقد دفين ... قال لك روبار يوما : ألم تنم على الحشائش البرية المترعة بوابل الامطار .!؟ وجلست القرفصاء امام كوخ متداع ... » أجبته متنمرا : « هناك ولدت ، ومنه انطلقت وأنا الآن أكتم اسراركم ... وأعرف خفاياكم ... » وأضفت بصوت كأنه رجع الصدى : « افقت صغيرا على العويل ، علمت عندئذ انى مدعو لمقارعة الزمن ـ الموات ـ تمشقت الكلمة احتسيتها حد الانتشاء » .

أبى كان يحمل الاوزار . خاضع لسطوة الآثمين . فلاح جنوبى يعيش قحط الايام الصعبة ، وينظر مع ذلك الى الآتى بلحن جذل ... يقول أبى عند الحصاد : البذرة هى سر الكون ... تنفلق فى الارض وتعتصم بدفئها ، وتلتقفها التربة وتناغيها ثم تمطرها السحائب المبيضة فتينع وتصاعد من الهواء باحثة عن الشمس .. انها مواسم الخير تأتى عنوة ...

وأنا ...

لما جئت ...

كان القحط .

اعدنى البعض واعدا ... وقال آخرون : بائس هو ...

اما العم عبد العاطى الحاج فقال وقد رآنى لا استقر : صلف هذا الفتى ...

وقال صالح البردعى البياع وامام القرية عندما يغيب الحاج سليمان : بين الشر وهذا الولد قيد أنملة ...

أما أمى فكانت تمسد على الشعر المجعد ... وترنو الى صفاء ايام قادمة ... تختزن أمى الآلام . لا تبوح . للضيم حلاوة لا يتذوقها الا العارف بالحياة . الخنوع ضرب من الممارسة الحية لمعانى العيش أمى تحتضننى .. وتربت على الكتف بحنو طاغ وتمسح على الشعر المجعد تمسد الجبين ...

ايزابيلا ايضا كانت تمسد على الشعر وتمسح الجبين ... لذاتى يلاعبوننى خشية ، وكنت لا أبالى تنتفى امام الصعاب وأجد لذة اجتياز الممنوعات . ولما تحولت الى العاصمة اشفقت على النفس المترعة . الجامعة كانت غانية عجوزا ،

عارية الجسد .. ودروس الفلسفة والفنون وشتى المعارف كانت تلاحين جافية ... وعلمت أن العلماء فى هذه الاصقاع طبول فارغة وهؤلاء يتبجحون بلا موارد ... نجمت فجأة اتضحت أمامى سبل وتتلألأ نور وهاج . الكون رونق جذاب عند انتفاء البحث والسعى الى الاجل ... وأنت الحامل للوزر الكبير مصيب مصاب عليك بالسبح عاريا ... فكن الجاهل الساعى الى العلم ، ولتجاف الكسل المقيت ... كنت لا أنام الليل ... وما مرت على ساعات الظلمة دون أن أكون واعيا لهذا العالم ... يقول حكيم الهند الاول : كلما تعلم الانسان اكتشف جهله الطاغى ... صاح بى الهاتف : لا تلتفت الى الوراء . القحط أمر واقع .. لم أنه العقد الثانى عندما تهت . الوجهة أوربا . البدء مارساي . سعيت الى هدفى مباشرة ... وكنت أهوى الطلاسم . فرنسا عروس دنيا هذا القرن ... وباريس مدينة المدن ... كرعت من افيائها ... فكانت المعين ... أتذكر باخرة الرحلة ، عظيمة تمخر العباب ببطء ... تشق البحر فى خيلاء .. والنوارس البيضاء تلاعب الهواء ... تقف على حافة الاشرعة ... امضيت الرحلة رغم البرودة وصخب الامواج ودوار البحر على السطح ...

قال ربان وهو يشاهدنى أتقيأ : من أين جئت أيها المعقد .. !؟ كنت صبيا يافعا . كظمت غيظى . تقدمت منى امرأة مسنة أحاطتنى بذراعين لدنتين ... غمرتنى رائحة ذكية .. دعتنى الى الجلوس فى غرفتها ... لكنى احجمت ... أتذكر اليوم الاول ومغيب الشمس ... ومع قدوم الليل هدأ البحر ... غير أن الباخرة واصلت حركيتها القاتلة ... قال ربان : هذا الهدوء منذر . البحر فى الشتاء رهيب ... ولما بدت لنا جبال الآلب صحت فرحا ... جذلا : إلي يا أعالى البياض .. اليك أسعى هاربا من الأيام الكاسحة.. ولم يعلم أحد من بلدتى الجنوبية انى وجدت ملاذا ملاكى السمة ...

وفى فرنسا اكتشفت حقيقة العلم ...

العلم شر لا بد منه .

والعلم خير لا بد منه .

وطالبه ينزلق بين قطبين هما اساسا الوجود .

وآمنت ان العلم داء . أردت التمرس به .. فكانت مصيبتى الاولى ...

مصطفى المدايني

سيناريو الحفل الأخير

شعر: حسين علي محمد
(القاهرة)

وجهك يبسمُ لي ، يضحكُ ، ويشعّ بضوء الحبّ الأخضر ،
نقتربُ من الساحة ، نفترقُ ، وندخل تلك القاعه ،
أرتجف من البرد ، الضوء الساطع يأتي من كل جهات المسرح ،
أقف أمام الميكروفون ، سيوف فوق الرأس فأين المهرب .؟
أصرخُ ، تهتز الحلبةُ ، يرتجف الناس ، وينفصلُ الكفّ عن المقبض ،
ورقاب الصحب أراها قدامي تجأر بالصوت الهادر :
– قلْ ، أتحفنا بالشعر .
– أنا ؟ لا أقدرُ .. هذا زمن البترِ !
(وقلبي فوق الكف .. وأهتف من أعماق فؤادي) :
– أظمأ للحب ، فأين مياهك يا نهري ؟
(أصل إليك .. وأنتظرك شمسا) :
– قالوا : تهذي
– قلتُ : سيوفٌ فوق الرقبهْ
– قالوا : قاتلْ ، ناضلْ !
– قلتُ : فإني أخشى أن أرْوى منْ نهرٍ يأسنُ فيه الماءُ
– فقالوا : تبعثُ ثانيةً لو متّ ..
– فقلتُ : واني مازلتُ أعاني منْ موتي الأولِ ؟
– قالوا : غنِّ
(انطلقت أحزاني شلالا ، واختلطت كلماتي . أهتف) :
– أيتها الريحُ الليلية ، عودي ، كي أدخلَ .. اعتمر بدارِكْ .

– قـالـوا : الظلمـةُ كابيـةٌ

– قلـتُ : فأين شمـوس أعرفُها ، تقتلعُ جـذُورا يـبَّـسهـا الخـوفُ ؟

– فقـالـوا : في جيب المعطف !

(ضحكوا ، صدرى مفتوح للريح ، ودفء الحضن يحاورنى) :

– مـاذا يحمـلُ حضـن حبيبتـك الخضـراء ؟

– قالـوا : يـا باقـةَ شعـر ، وحـديثـا بـكـرا مختـومـًا ،

★ ★ ★

أتلفَّـتُ إذْ أبصـركِ الليلـة تأتي ،

وتلتفتِ الأعنـاقُ إليـكِ ، تضجّ القاعـةُ بالتصفيق .

وتأتين إليَّ ، نُغنّـي ، نـرْقُص ، ويحـوطنـا الناس ، وأغمـض عينيَّ ،

فـكـمْ ذبتُ حنينـا للصـدر الطفـل ، وللصـوت الفضـهْ !

– قلتُ : أقـولُ القصـةَ

(والأصوات ـ القطة فى القاعة) :

– نَحْـفـظهـا !

– قلـتُ : فإنـي أختمهـا

(وابتسموا) :

يا كمْ عانيتُ كثيـرا في طـرق الصمـتِ ! غيـابكِ يـذبحنـي ،

والآن أتيـتِ ، ابتهجتْ أيـامـي ، لـنْ أتـركـكِ ، فقـدْ عانيتُ كثيـرا

(وانفض الجمع وصرت وحيدا) :

في غيبتـكِ البـدرُ غـريبٌ ،

وغـريبٌ قلبـي في هـذي المـدن المكتظـةِ باللحـم البشـري .

حسين علي محمد (القاهرة)

بساتين مدينة صفاقس
نشأتها ، تاريخها ، تطورها

بقلم : أبي بكر عبد الكافي

تمهيد : امتازت مدينة صفاقس عن الكثير من المدن بالبساتين التى تكون حولها من ثلاث جهات شبه هلال اخضر يطوق جيدها من البحر الى البحر وهذه البساتين قديمة تمتد جذورها فى الماضى البعيد وتاتى بعد تاسيس المدينة تاريخيا حسبما توصلنا اليه ، وقبل التبسط فى الموضوع نرى من المفيد التعرض لبعض الاصطلاحات التراثية المتعلقة بالباستين .

الجنان : سكان صفاقس يسمون البستان (جنانا) والجمع (جنة) بكسر الجيم والكلمة عربية غير انهم اطلقوا اسم المفرد على الجمع وسموا الجمع بالمفرد لان (الجنة) بفتح الاول وتضعيف الثانى مع الفتح : هى الحديقة ذات الاشجار وتجمع على (جنان) بكسر الاول و (جنات) .

الغابة : تطلق كلمة غابة على مجموعة بساتين بجهة او حول قرية ، او على ملك عائلة كثيرة الفروع ، فيقال (غابة الغربية) و (غابة الشرقية) اى البساتين الواقعة غرب المدينة وشرقها ، ويقال غابة ساقية الزيت ، وغابة مركز كمون أى البساتين الواقعة بقرية ساقية الزيت وقرية مركز كمون وكذلك يقال (غابة الاعشاش) و (غابة البهالة) اى بساتين آل العش وآل البهلول .

الحفـرة : من المحقق ان مدينة صفاقس مشيدة فوق ربوة ذات جناحين (1) والارض التى حولها فى قرب منخفضة بالنسبة لها لذلك كانوا يسمون البساتين القريبة من المدينة (حفر) والواحد منها (حفرة) وورد فى الوثائـق العديـدة (حفرة النورى) و (حفرة التونسى) و (حفرة العذار) الخ ، ولذلـك ايضا تتجمع مياه الامطار حول المدينة وكانت تكون ـ وفى الجهة الغربية على الاخص ـ شبه المستنقعات .

البـورة : كانوا يسمون كل أرض معدة للازدراع وليس بها اشجار مثمرة (بورة) سواء كانت قرب المدينة او بعيدة عنها من ذلك الارض التى كانت امام مستشفى الهادى شاكر كانت تعرف بـ (بورة بوزيد)، وعندما شجرت البورة بالعود الرقيق بقى اسمها يعرف بها وجمع بورة (وبر) .

البستان : البستان او (الجنان) كما يسمى بصفاقس : عبارة عن قطعة من الارض مسورة باسوار من التراب تدعى (الطابية) وتختلف مساحتها حسـب ثروة مالكها ويمسح الجنان بحساب المرجع ، والمرجع الصفاقسى بـه (875 م) مربع ، و (الطابية) التى تحيط بالجنان يبلغ ارتفاعها نحو (1،80 م) تقريبـا ومن العادة تغرس الطابية بالتين الشوكى (الهندى) وكان الصفاقسى يهتـم كثيرا بطوابى جنانه من حيث اصلاحها وتنظيفها واعادة بنائها كلما وجب ذلك ويشذب اشجار الهندى ويجدد غراسته وذلك فى فصل الربيع .

ولهذه الطوابى المشجرة بالهندى فوائد كثيرة : تحفظ البستان بما فيه من اشجار ودواب ودواجن ، وتحفظ اهله وثمره من التلوث بغبار الطريـق ، ومن عصف الرياح وتمنع الانظار من كشف الحريم ، مع ان شجر الهندى يستثمر ورقه الاخضر لعلف الدواب وتؤكل ثماره اللذيذة ويعبر عنها شعبيا : (الهندى سلطان الغلة) .

نشـاة البساتيـن :

الطـــور الاول

ان مدينة صفاقس اغلبية التاسيس ويرجع تاريخهـا الى القرن التاسـع الميلادى (2) ولم يرد تاريخيا ما يفيدنا عن نشاة البساتين بها ولا نعلم يقينا هل

---

(1) راجع تاريخ صفاقس أ ـ ع الجزء 1 ص 37 .
(2) المرجـع السابـق ص 34 .

هى نشأت مع المدينة أو بعدها ؟ واقدم النصوص التى تذكر بساتين صفاقس ترجع الى القرنين الميلاديين (10 و 11) لقد روى ابن حوقل وهو يتحدث عن صفاقس بانها (قليلة الكروم وفاكهتها من قابس) (3) وكلمة كروم جمع كرم، وقال صاحب المنجد هى عامية وتطلق على ارض يحوط بها حائط وفيها اشجار ملتفة ويبدو لنا ان المعنى الذى قصده ابن حوقل (قليلة البساتين) ويؤيد هذا الفهم قوله بعد (وفاكهتها من قابس) لان الفاكهة ثمار اشجار البساتين ونزداد تاكدا فيما ذهبنا اليه بقول صاحب تقويم البلدان وهو يتحدث عن صفاقس : (ولها بساتين قليلة) . ويبدو لنا انها نمت وازدهرت واخذت تمتد حول المدينة الى ان حلت بها نكبة الزحفة الهلالية فاصابها الفساد والتخريب مثل غيرها واخذت فى التراجع غير انها لم تندثر تماما وما رواه ابن عذارى المراكشى يثبت ذلك اذ قال : (وفى سنة 474 هـ (11 م) حاصر الامير تميم مدينة صفاقس وعاث عسكره فى اجنتها المعروفة بالغابة وافسدها) (4) فهذه الحادثة وقعت بعد هجومات بنى هلال بنحو ربع قرن مما يدل على ان افساد الاعراب لها لم يكن كليا ، وانها نمت بعدهم وازدهرت ، ثم بعد هذا التاريخ بنحو القرن صارت هذه الغابة ميدانا لحرب ضروس خاضها ابناء صفاقس ضد النرمان الصقليين (1148 م) ثم اصيبت باعتداءات الميورقى وقراقوش الغزى (5) وشملها الفساد والدمار من جديد وصار سكان صفاقس يعتمدون فى فاكهتهم على توريد ما يحتاجون اليه منها من مدينة قابس وهذا ما اشار اليه الشريف الادريسى بقوله : (وتجلب اليها ـ صفاقس ـ من مدينة قابس نفيس الفواكه وعجيبها مما يكفيها ويربى كثرة ورخص ثمن) (6) وبعد الادريسى يصفها ياقوت الحموى ويتحدث عن غابة زياتينها التى يمتار من زيتها المشرق والمغرب ولا يتعرض بالذكر لاجنتها مما يدل على اندثارها بعد نموها وازدهارها مما جعل احمد الدرعى يصف ارض صفاقس بالجدب واليبس وكونها بيضاء لانبات فيها (7) واكد لنا ابو عبد الله التجانى (14 م) هذا الوصف بقوله : (وكانت بها غابة زياتين ملاصقة

---

(3) صورة الارض لابن حوقل وكتاب وتاريخ صفاقس ج 1 ص 27 والمسالك والممالك للبكرى ص 20 .

(4) البيان المغرب لابن عذارى المراكشى ج 1 ص 300 دار الثقافة بيروت .

(5) راجع هذه الاحداث بالجزء الثانى من تاريخ صفاقس ص 54 .

(6) الادريسى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق والنص بكتاب تاريخ صفاقس ج 1 ص 26 .

(7) الحلل السندسية للسراج تحقيق الهيلة ج 1 ص 327 .

لسورها فافسدتها العرب فليس بخارجها الآن شجرة قائمة وفاكهتها مجلوبة اليها من قابس) (8) .

هنا يتأكد ان نقف متاملين فى وضع سكان هذه المدينة الذين اهتموا بفلاحة البساتين والزياتين منذ عدة قرون وتفننوا فى هندستها وغراستها وتربية اشجارها تربية منتجة رغم ماكانوا يلاقونه من احداث وفتن وجفاف متواصل وقلة مياه ؟ فهل هم عدلوا عن فلاحة البساتين واهملوها مدة من الزمن ؟ ثم جددوا العزم وواصلوا رسالتهم فى مثابرة وعزم ؟

الطور الثاني :

ان ما حل ببساتين صفاقس من خراب ودمار ، وما اعقب ذلك من فقدان للامن وسيطرة الخوف والفزع على السكان من جراء توالى الحروب والفتن ثم تخييم عدد عظيم من قبائل الاعراب حول المدينة وفى جهاتها عن قرب وعن بعد ، افشل العزائم وادخل الياس على النفوس ، فاهملت الارض وتركت البساتين قاحلة مهملة ، مع ان هذا النوع من الفلاحة المتأصل فى نفوس السكان جعل بعضهم ينتقل الى جزر قرقنة ويخطط بها بعض البساتين فيحيى اراضها وهى الجزر التى لا تبعد عن مدينة صفاقس بسورها البحر ويحميها من كل ما يخشى منه ، فتكونت هنالك اجنة وكروم متواضعة ، من حيث المساحات وانواع المغروسات ، وصار بعضهم يغدو ويروح ، والبعض الاخر استقر هنالك واستوطن الجزيرة ؟؟

اننا نستنتج هذا الرأى من قول احمد الدرعى الذى كان وصف صفاقس بالفقر والجدب ثم زاد على ذلك فقال : « وقبالتهم ـ اى سكان صفاقس » فى البحر جزيرة قرقنة فيها رياضهم واشجارهم وثمارهم ونخيلهم يقطعون اليها بالصنادل فى بحر قصير لا تجرى به السفن الكبرى » (9) .

فهذا الخبر يثبت لنا بان سكان صفاقس نقلوا نشاطهم فى فلاحة البساتين الى جزيرة قرقنة ، ويؤكد هذا قول البكرى رحمه الله : « يدخل فيها ـ يعنى

(8) رحلة التجاني ص 68 .
(9) الحلل السندسية للسراج ج 1 ص 327 .

قرقنة ـ اهل صفاقس بدوابهم ومواشيهم لانها خصبة » (١٠) ولانهم اهتموا باحياء اراضيها ووجدوا فيها الامن والاطمئنان ؟؟

ولا نستبعد ان تكون هذه الاسباب هي التي جعلت بعض العائلات الصفاقسية تملك أراضي بالجزيرة،ومنهم من استقر بها واستوطنها ونلمس هذا فيالكثير من العادات والتقاليد المتشابهة بل حتى في الالقاب العائلية وهـذا بحث لـه جوانب عديدة لا يمكن التبسط فيه هنا ..

وفي القرن الخامس عشر الميلادي بدأ سكان صفاقس في اعـادة انشـاء البساتين حول مدينتهم وعبارة العيني صاحب عقود الجمان « ولها ـ صفاقس بساتين يسيرة » (١١) تنبئنا بذلك ثم واصلوا العزم واخذت البساتين تنتشر وتزدهر الى ان وصلتنا ...

ومما يلاحظ ان نشأتها الجديدة ابتدأت من اسوار المدينة وورد في حجـة عادلة لملكية عقار وهو الارض الملاصقة لسور المدينة الشمالي مكان محطة حافلات النقل الآن ان تلك الارض معدة للازدراع وبها اشجار تين وكروم وفي سنـة 1689 م كانت على ملك القائد احمد بـن عـبد العزيز قبادو ، ونعلـم ايضا ان (سانية الرمان) كانت تجاور السور الغربـي ، والاراضي الـتي حولـت الى مقابر الكثير منها كان اجنة وبساتين ، تلفت الانظار وهي التي كـانت تدعى (بالحفر) مثل حفرة النوري والكراي والتونسي الخ وجاء في وثيقة عادلـة : « الحمد لله اشهد المكرم الاجل القارىء العدل الحاج الناسك ابو الحسن علي ابن المرحوم الفقيه العدل الشيخ القاضي ابي العباس احمد التونسي انه تصدق على ولده محمد بجميع الجنان المشجر تينا وعنبا وغير ذلك المعروف بالحفرة الكائن بغابة صفاقس على ثنية دار عطية قرب المقبرة يحده قبلة ارض للمتصدق وشرقا حفرة الشيخ النوري بها ماجل وجوفا الثنية المذكورة وغربـا جنـان الفراتي ومدخل له بجميع حقوق الجنان المذكور وحدوده وبرجه وحوشه» وهذه الوثيقة مؤرخة باول ربيع الثـاني سنـة ١١٩٢ هـ (١٨ م) ومعقـودة بعقـد العدلين المرحومين عبد السلام الشرفي وحسن الشرفي .

---

(١٠) المسالك والممالك للبكـري ص 20 .
(١١) انظر الحلل السندسية ج ١ ص 327 .

وفى هذا الظرف حدثنا محمود مقديش عن بساتين صفاقس حديثا مفصلا ممتعا نستفيد منه بانها فى اواخر القرن (18 م) ازدهرت وامتدت مساحتها وتنوعت غروسها حتى غدت جنات ذوات افنان وهذه عبارته رحمه الله : « اما الآن منذ دخلت العساكر العثمانية ولا سيما فى دولة سيدى حسين بن على باى وعترته فصفاقس لها بساتين وجنات مشتملة على غرائب الاشجار وبدائع الثمار ، وخصوصا الفزدق الذى لا يوجد مثله الابحلب والتين والكروم المختلفة الالوان والاشكال والكمثرى بجميع انواعها خصوصا السكرى منها والتفاح بجميع طعومه والمشمش الفائت الحصر واللوز بجميع انواعه والمقاثى والبطيخ بجميع انواعه واشكاله وعيون البقر بانواعه ، وانواع الرياحين من الورد والفل والياسمين والقرنفل الى غير ذلك وبالجملة فبساتين صفاقس فى هذه الاعصار مشهورة ولاهلها بها قصور يسكنونها زمن الحر ولا يتخلف احد عن الخروج بجميع اهله اليها ويعملون من شرائح التين والزبيب والفزدق واللوز ما يعم اكثر البلاد وبساتينها محيطة بها كنصف دائرة من البحر الى البحر تبعد من السور الى منتهاها شمالا بقدر سبعة اميال او ازيد ، فتتصل بساتينها بزيتون الساحل القريب من قصر لجم » (12) هكذا وصف مقديش بساتين صفاقس على عهده وهو وصف دقيق شامل ممتع .

لقد تواصل اهتمام سكان صفاقس بفلاحة البساتين مع الايام مما جعلها تتقدم وتزدهر وتزحف داخل غابات الزياتين ونراها كما حدثنا عنها سائح انجليزى (ادوارد ريا) فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر للميلاد ويصفها وصف المعجب بهندستها المقدر لجهود اهلها وهو ينزل من البحر ويطأ ارض صفاقس « وبلغنا الشاطىء لنشهد عن يمين المدينة ويسارها اميالا من الحدائق وبضع منازل مبعثرة على امتداد البصر وينهض بين المنازل برج صفاقس وقبة كاتوليكية) (13) فالحدائق تمتد اميالا بينما المنازل التى بربض باب البحر قليلة واعلى منها رباط القصبة الذى سماه برج صفاقس والكنيسة التى اشار اليها هى (كنيسة القريق) وقد وقع تجديدها فى اول القرن الحالى ويعود للحديث عن البساتين عند خروجه من الباب الجبلى فيقول : (وتكتظ المدينة بالحدائق من اولها الى آخرها وربما وصل عدد الحدائق بها الى عشرين الف

---

(12) انظر نزهة الانظار لمقديش ج 2 .

(13) زار ادوارد ريا البلاد التونسية سنة 1877 وعرب رحلته الاستاذ مصطفى محمد جودة تحت عنوان (المغرب العربى) انظر ص 168 .

حديقة ولا يوجد بصفاقس فقير بمعنى الكلمة فكل يملك حديقة خارج المدينة تمتلىء باشجار الزيتون والتين والشحاذ الذى يستجدى كسرة خبز ممثل فى مجلس القرية ــ اى له حديقة بين الحدائق ــ ولــو لم تزد مساحتها عــن اثنى عشرة ياردة مربعة) (14) .

بهذا الوصف صور لنا (ادوارد ريا) كثرة بساتيــن صفاقس واهتمــام السكان بكل طبقاتهم بانشائها ورعايتها ثم روى لنا ما حدث به عــن غروسهــا بقوله : (وقدم لى شرحا وافيا عن التين واللوز والزيت واشجــار الفزدق التى يعج بها الاقليم وهو على صغره يضم عديدا من الحدائق التى تمتد حتى تبلــغ مناطق البدو) ثم قال : (ويصنع هنا ــ صفاقس ــ النبيذ الممتاز من العنب كما يزرع الخيار بكثرة وكــذا اشجار المــوز وتشكــل اشجــار الزيتــون الوعــاء الضريبى) (15) .

وفى سنة 1912 وصف السائح المصرى (محمد بك فريد) بساتين صفاقس فقــال : (وصلنا الى مدينة صفاقس وبعد ان قطعنا مسافة خمسة عشر كيلــو متر وسط البساتين والجنان المحيطة بها) ثم وصف احد البساتين التى زارها وصفا مقتضبا فقال: (وبعد الظهر توجهنا الى بستان السيد عبدالسلام الشرفى على بعد نصف ساعة من المدينة وهو بستان متسع به من كل فاكهة زوجان واهم حاصلاته العنب والرمان وانواع الثمر) (16) .

هذا ما امكننا الالمام به عن تاريخ بساتين صفاقس منذ نشأتها خــلال القرن العاشر الميلادى وما طرأ عليها من احداث ثم عادت لها الحياة فنمت وازدهرت وامتدت نحو العشرين كيلومترا بفضل ما طبع عليه سكان المدينة من حــب للارض وشغف بفلاحة البساتين .

ابــو بكــر عــبد الكافى

---

(14) المصــدر السابق ص 174 و 175 .
(15) نفس المصــدر .
(16) (من مصر الى مصر) ص 128 و 129 .

مواعيد الشغف الشاسع

شعر: محمد الطوبي
(المغرب)

عندما يشتعل القلبُ غزالا في النشيد
يتولاه حريق الطعنة الاولى
نبيذ المشتهى في سورة الحبّ ..
فيرمي شرعةَ الشوق على وقت المرايا
تبدأ الشهوة من منطقة الزلزال ،
من ذاكرة الفجر وأضلاع الشهيد ..
والعصافير التي تحملُ أحلاما من النور
وزهو الورد والوجد بصدر المملكهْ ..
أمه لم تتوجع في نزيف العمر ،
لم ترحل بعيدا عن صلاة الياسمين
ومسافات الحنينْ ..
أمه كانتْ جموحَ الكبرياءْ
كانتْ الأرضُ اتساع الانتحار الفذّ
والبحر ،
على أرصفة الحلم الشريدْ
أمه كانت شموخ السوسن المسفوح
من ضاحية الصبر الى جرح البلاد ..

لم تحاول حزنها ،
لمْ تلبس الوقتَ على ثوب الحدادْ
أمهُ (أمي أنا الساكن في صبوته) ..
وَهُوَ الساكن في ترنيمة الجرح وتاريخ
الجياد ..
وَهُوَ الساطع في البوح من القمح
إلى الزعتر والصفصاف ،
والشاهد من خارطة الجوع النهائية
حتى شهوة الماء على خصر « سَبْو » .
من مهرجان الدم والأسماء والمنفى
إلى تهليلة السيف السعيدْ ..
أمه سيدة الأقمار ،
كيف الحلم يأتي ؟
كيف ينشق على الوقت الرمادْ ؟
أمه فاتحه الحنّاء والعُرس ..
أنا المبتهج المطعونْ
والمشتعل المفتونُ

والمجنـون ..
قلبي كان ريحانا على شرفتها ..
الحب اتجاهي ولـكفيها حماس الفجر
ما أشهى انتحاري !
وسماء العمر تمتد من الشهـد
رصيف النار يمتد من الوجد ..
تراتيلٌ من الطيب السماوي ،
يفيض النور من جوف السوادْ ..
كان يسري مثقلا بالسكر ،
(للسكر مقاماتٌ وأحوالٌ)
فلا يقرأُ أوجاعَ المساءْ
ساعة الشوق السهـادْ ..
والشحارير استحمت بالندى الليليِ
فانهار الأسى نحو الغناءْ ..
ساعةٌ للأنبياء
ساعةُ النهر وأجراس الدماءْ ..
أكملت زينتها الآن أقاليم البكاءْ
والمراثي تسأل العاشق عن باب السماء
ساعة للوطن المغتال ، للأطفال ،
للخبز الذي يطفىء جوع الفقـراءْ
ونبيذ عاصف للشعـراءْ ..
والمواعيد حقولٌ وقناديلُ ،
اختيارٌ ومنـاديلُ ..
المواعيد هي السيف الذي يزرعُ في
الجرح قمـر
والمواعيد هي الشوق الذي يكتب
في الحلم المطـر ..
المواعيد هي السكر ، هي البوح ،
هي الـرؤيا ،
هي الكشف ، هي الوعدُ ، هي
الروحُ ،
المواعيد هي الباطن والظاهر ..
ما بينهما العرس الذي يبدأ
من زنبقـة القلب صُعُـودا للصباح
المنتظـر ..
لخطاه الشغف الشاسعُ ،
لم يقتله سحر امرأةٍ من قبل ..
هذا عشقه يشهـدُ ،
أعطته شتول النور ميلاد الحنين الصعب
هـذا عشقه يشهـدُ ..
كيف الماء من مملكة الصخر انفجر ..
يستعد الآن أن يمشي الى البحـر ،
إلى باب سؤالين على ناصية اليأس ..
أنا شاهدتُ هذا الشغف الشاسع
في العمر غزالا يسكن الروح ..
وشاهدتُ اغتراب الولد الذاهب
سهوا في الأماني ومحطات السفر ..
القنيطرة 27 — 10 — 82

الدراجــة الصفـراء ..

قصة : محمود بلعيد

- 3 - (*)

يعـود عـم العـروسى مخترقـا أكـداس الحديـد ، ويتنـاول شربية من وراء الباب يرفعها الى فمه ويميل بها الى الوراء ، ويجعل يكرع كرعا يسمع من بعيد ، تتحرك له قرجومته تحركا متواصلا ، ويبقى يشرب زمنا كانه يريد أن يأتي على آخر ما فيها .. ثم .. ثم يكف وينحى الشربية ن فمه ويرجع النفس بشدة ، ويتنهد ثم يرجع الشربية الى مكانها ، وينتقل وسط النهج بخطى وئيدة ثقيلة واضعا يديه فى حزامه بشكل قوسين كعادته ، ثم ينظر بخيلاء فى نهج حمام الرميمى يمينا ، وشمالا ، ويطيل النظر ، ويدير رأسه ببطء كأنه رادار يشاهد تحركات الدراجات كلها فى نهج سوقى بلخير وفى الانهـج القريبـة والبعيدة منه ، فى نهج حمام الرميمى ، ونهج باب الخضراء ، ونهج سيدى بن نعيم ، ونهج الدوارة ، ونهج الكرارسى ، والحفير ، ونهج البصيلى،ونهج سيدى خميس ، وبطحاء الحلفاوين ، ونهج القنطرة ، ونهج الزواية البكريـة ، وبـاب سعدون .. ثم يخطو خطوات ، ويتجه بتمايل وخيلاء الى كرسيه عند الحائط قبالة الحانوت .. ويشاهد الطفل مقبلا بالقهوة يسير ببطء وحذر ، ماسكـا كأس القهوة بيده اليمنى .. فيخرج صندوق سجائر « أرتى » وحكه وقيد من جيبه ، ويجذب سجارة من الصندوق ويرشقها على مهل فى فمه ثم يشعلهـا بمهـارة .

يقف رجل أمامه ويقول له :

ـ صحـه عـروسى .

فيجيبـه بسرعة ولهفة كمن كان يترقب احدا فتاخر كثيرا حتى يئس من قدومـه

ـ تفينـك ؟!!

ـ توه مـروح من الخدمة !

ـ هيـا خـذ جغمـة قهـوة ؟!

(*) تابع لما نشر بـ « الفكر » ع : 8 و 9 ـ س : 28 ـ جوان 1983 .

ـ صحـه بالشفـاء .
ـ حصانك تعبان كان جيت قبل بشوية راك ضربت معايا مقرونة ما زالت سخونة تركب كيف ٠٠
ـ صحـه ليك صحـه
ـ تخوذ جغيمـة قهـوة ؟!
ـ لا والله لا
ـ خـوذ نصيف اعمل جبيدة ؟!
ـ لا يعيشو لعروسى قل لى الليلة ما تنساش ماو
فيجيبه لعروسى على الفـور :
ـ نحب نعرف الطاهر جاى والا لا ؟
ـ ما نظنـش
ـ قل الحق انت تعرف وتخبى على ؟!
ـ ظاهـر لى جـاى !
ـ اما له ما نجيش ٠
ـ لا ايجـه امان !
ـ لا يا حبيب الطاهر ما يهنيش روحه ٠
ـ ايجه عادة آش عندك فيه ؟
ـ كيف يشرب ما عادش يعرف آش يخرج من فمه وانا نفضل ما نحطش ساقى الليلة ؟
ـ قلت لك ايجه واش عندك فيه !
ـ لا ، أنا أعرف توه يفسدها ويخمجها ٠٠ وعندى معـاه حسابـات هـاو الرسمـى
ـ قتلك ايجـه يزى عـاد
ـ انا ما نحبش نشوف منظره ويهمس اليه بصوت لا يسمع :
....
....
وتظهر علامات التأثر ، والاضطراب على وجه الحبيب ، ويتابع عم لعروسى :
....
....
وتزداد علامات التأثر على وجه الحبيب ويمتقع لونه ٠

ويزيد على هذا يحل فمه ويقول :

....

ويجيبه الحبيب

....

وتابع عم لعروسى :

....

فهمت توه

....

ـ والله ما كنت نتصور

ـ امالـه كيفاش !

ـ شوف ايجه وخوذ بخاطرى

ـ مازلت نشوف الخليقة متاعه ؟!

ـ لا يعيشو لعروسى يعيشو خوذ بخاطرى توه نحطوه بعيد عليك وما تراش خليقته !! بربى عروسى !! بربى !!

ـ باهى ، باهى على خاطرك والله على خاطرك يا حبيب ٠

ـ يعيشو لعروسى يعيشو ، هات نبوس كالرأس متاعك ٠

ويقبله من جديد

ـ بالسلامة الليلة امالـه

ـ بالسلامة مليح

يبتعد الرجل ٠ ونبقى زمنا ننظر اليه يبتعد ، وتحين منى التفاتة الى الدراجات ، فأشاهد الدراجة الصفراء هناك بين الدراجات متكئة على يسار الحانوت !! وأمسك أخى من كتفه وأرجه بقوة وأشير اليها ، ونسرع ، ونتناولها من بين الدراجات ، ونخرجها بصعوبة وعم لعروسى ينظر الينا مبتسما ٠ ونمد له « الدورو » ونبتعد عن الحانوت ، ويلاحقنا صوته محذرا صائحا :

ـ لا تتأخرا ، ولا تركبا عليها الاثنان معا ٠

ونلتفت اليه الاثنان ونجيبه بدورنا بشجاعة وفرح :

ـ نعم ، نعم ، سوف لا نتأخر ، ولا نركب نركب عليها الاثنان الاثنان يا عم عـم لعروسى ٠

صار يتوقع بحدسه الغريب اننا سنستطيع ركوب الدراجة وصار يعتقد اننا سنركب عليها الاثنان بدون شك ولا ريب ، وصار يخاف على دراجته الصفراء الصغيرة ، ولكنه لا يعرف اننا نحبها كثيرا ونحبها اكثر منه ٠٠

ونبتعد عن الحانوت ، ونعرج يسرة ، وندخل نهج الدوارة كعادتنا ٠ ثـم يدفع اخى الدراجة الى الامام قليلا ويمسكها من كرسيها قائلا لى :

ـ أبدأ انا الآن ، امسك بى الكرسى ولا تتركنى أسقط ٠

ويمتطى الدراجة ، ونسير رويدا رويدا ، هو فوق الدراجة يدير ساقيـه بحذر عاضا على شفتيه وأنا أسير ماسكا بالمقود لا أتركه ، ويبقى متكئـا عـلى خطوات ، ثم يجعل يدير ساقيه بسهولة ، فأسرع الخطى بجانبه ثم يجعـل يدير ساقيه أكثر فأكثر حتى صرت أهرول وحتى صرت أركض وأجرى ثم لم أدر كيف انطلق ولا كيف ابتعد عنى وحرك ساقيه بخفة وسهولة وزاد ابتعادا وانا انظر اليه فرحا مبهورا وأجرى والدراجة تسعى سعيا جميلا ٠

ثم ثم يشد الكابح فتنقص الدراجة من سرعتها وتجعل تسير بمهل ، ببطء ، وتكاد تقـف ٠٠ ثم لم ادر كيف نحى ساقه اليمنى بعجلة عن الدواسـة ولمس الارض ٠

وأصل اليه عدوا ويقول لى فرحا مرحا

ـ الآن دورك هيا اركب سوف ترى ٠ ركوبها سهل سهل جدا سأمسك بك المقـود ؟!!

فاجيبـه بارتبـــاك :

ـ لا ، لا يا أخى المرة المقبلة نترك ذلك للمرة الآتية !!

ثم نسير والدراجة بيننا ، ونجعل نفكر فى الرجوع أو على الاقل المرور أمام باب الحانوت فلعل وقتنا فات ولعل عم لعروسى بدأ يغضب ، أوانـه غضـب فعلا ، وجعل يترقب عودتنا بفارغ الصبر ، وجعل يفكر فى الانتقام منا ٠٠ وعند مشاهدتنا سيقوم الينا ، وينطلق وراءنا كالصقر ٠٠ ونقترب من الحانوت ٠٠ ونجد عم لعروسى جالسا على كرسيه كما تركناه يترشف قهوته وسجارته لم تنته بعد .. ينظر الينا ويبتسم .. ثم يقول لنا كلماته المقوتة :

ـ وقتكما يا الاولاد ضعا الدراجة هناك ويشير الى آخر صف الدراجات على يسار الحانوت ٠

نضع الدراجة على الحائط بصمت فى المكان الذى أشار اليه بسبابته،لا نحيد عنه قدر شبر ونفارق الحانوت صامتين آسفين ونبتعد ٠٠ يلتفت الى أخى ويقول لى :

ـ لو لم نمر أمام الحانوت لما قال لنا كلماته التعسة ولبقينا زمنا طويلا بالدراجة !!!

أخى يحسن ركوب الدراجة !!! بعد يومين اخذنا طريقنا بسرعة ٠٠٠ عدنا وخمسة فرنكات فى احد جيوبنا ٠٠ وسرنا فى نهج حمام الرميمى ٠٠ واقتربنا من الكوشة وشممت رائحة الكعك ٠٠ لكن اخى الكبير يحسن ركوب الدراجة الصفراء الآن !!! ومررنا أمام الكوشة ولم انظر الى مبروك وهو منهمك امام الفرن ، يخرج الاطباق المملوءة كعكا شهيا ، ناضجا ، سخنا ، يخلب انظار الاطفال الصغار ، وتنحلب له افواههم . وابتعدنا عن الكوشة ولم التفت ولو مرة واحدة ، وظلت رائحة الكعك تقتفى اثرى ، وظلت تلاحقنى وتنفذ الى انفى بالحاح شديد ، لكن سيركب اخى الدراجة الصفراء ، ويسير فوقها بسهولة ، واركب بدورى الدراجة الصفراء وأدير ساقى ، وانطلق بدون شك ولا ريب كما انطلق اخى ٠٠ وعرجنا يسرة ودخلنا نهج سوقى بلخير ، وجعلنا نشاهد الدراجات ثم ظهرت لنا ألوانها : خضراء وحمراء وزرقاء وقسطلانية ٠٠ واقتربنا وشاهدنا اللون الاصفر بين الالوان وشاهدنا الدراجة الصفراء بين الدراجات متكئة على يمين الحانوت ، هادئة تترقبنا ، واسرعنا ، وعدونا ٠٠ والدراجة لا تزال متكئة ساكنة لا تتحرك ، وقدمنا الدورو الى عم لعروسى ونحن نلهث ونلتفت اليها قائلين بصوت واحد ٠

ـ الدراجة ، الدراجة الصفراء انها هناك يا عم لعروسى هناك نريد الدراجة الصفراء !!

فلا يرفع بصره ، ولا ينظر الينا ، ولا يمد يده لتناول النقود بل يبقى يفك ناقوس دراجة زرقاء ينزع عنه غطاءه بصمت،ويديره بحذر لكى لا تتبعثر بعض اجزائه ، وتسقط على الارض وتضيع ، ويجعل يده تحت الناقوس ليتلقى بعض القطع الصغيرة قبل سقوطها . ثم ينظر داخل الناقوس مليا ، وينفخ فى بعض اجزائه ويقلب بعضها ويمسح البعض ، ثم يواصل ويفك البقية قطعة قطعة ، ونحن نترقب ، ونتذمر ، ويضع القطع كلها فى الزيت ويتركها برهة ثم يخرجها

ويمسحها بخرقة ونحن نتحسر ويبقى زمنا ينظر فيها ثم يجعل يعيد تركيب الناقوس بكل ثبات ودقة وعناية بكل صبر قطعة قطعة ، ثم يدير فوق الكل الغطاء ولا يشده الى آخره بل يتركه يتحرك قليلا ويضغط على الناقوس فيعلو رنينه ٠٠ ثم شرع فى تصليح مقعد دراجة برتقالية ٠ تنحى عن مكانه واعوج وصعب ارجاعه بدون فكه وشرع فى حل براغيه بمفاتيحه العديدة المختلفة فنتقد غيظا ، ونشتعل ، ويبقى زمنا يسويه ثم يعيد له براريمه بسرعة ودراية يشدها شدا محكا ، وفى النهاية يصعد فوق الدراجة ويقوم بجولة صغيرة فى نهج سوقى بلخير ، لا يبتعد عن الحانوت كثيرا شامخا منتفخا كالديك الرومى يحرك ساقيه بأناة وثبات والدراجة تسعى خفيفة مذعنة رغم ثقله وتسرع اكثر وتنشط عند أدنى حركة منه ٠ وأخيرا يشد الكابح فتقف فى نفس المكان الذى كان يصلحها فيه ، ينزل بخفة رغم ضخامة جسمه ، وينحنى قليلا وينظر فى الكرسى من جديد فيجده فى مكانه مشدودا لم يتحرك ٠

نسترجع انفاسنا ، ونتقدم لكن يقبل رجل طويل عملاق يخاطب عم لعروسى فورا وبصوت قوى قائلا :

ـ دبوزة كالعادة !

فيجيبه بسرعة :

ـ سالم على السلامة ٠

ويتابع الرجل بتهكم :

ـ قل لى كالعادة دبيبيزة تحرك غاطس فى الدراجات تصلح وترقع !

فيجيبه بصوت متغير اجش :

ـ يزى سالم

ويقع كلام الرجل وتهكمه بردا وسلاما على صدرينا

ويتابع الرجل

ـ اشبيك اعجب ديمة تتغشش منى

ـ علاش نتغشش منك

ـ باهى ما قلت شىء اعطينى دراجة جديدة

ـ خذ آش تحب ، الدراجات كلها قدامك

فيجيبه الرجل على الفور آمرا :
ـ قلت لك اعطيني انت دراجة جديدة اعرفهم اكثرهم دراجاتك «روبا فيكيا»

يمتقع لون عم لعروسى ، فنفرح ويشتد فرحنا ونكاد نرقص ونكاد نقبل الرجل ، ويشتغل بتصليح دواسة دراجة فيصيح فيه الرجل مستهزئا متبسما

ـ هيا فاشكة قوم واختار لى واحدة من حينك
صرنا نسعد لكل كلمة يقولها الرجل
فيجيبه باقتضاب صوت مختلج ضعيف :
ـ خـذ الزرقـاء
ويقول له الرجل :
ـ ديمة تغضب كيف نكلمك هكه ديمة ما تتغيرش
ويجيب لعروسى بارتباك وصوت نحيف مرتعش :
ـ ما نغضبش علاش نغضب خذ الزرقاء هى جديدة
ـ دبوزة فينى الزرقاء هذه
ـ على اليميـن
ـ هاتهـا لى انـت

يقوم ويجذب له دراجة جديدة زرقاء لماعة يخرجها لـه من بيـن الدرجـات الهاجعة على يمين الحانوت . يتناولها الرجل المقود بشدة ثم يمتطيهـا بقـوة وعنجهية قائلا بملء صوته :

ـ كان ما تمشيش مليح نخليها لك فى وسط الثنية

فيجيبه متوسلا عاويـا :
ـ بربى ما تكسرها راهى جديدة !!
ـ من الحلـوى هى ؟
ـ لا !
ـ شوف انا ماشى المنوبة ومانحبهاش تعطلنى
ـ يعيشك ساعد عليهـا !!
ـ قلت لك ونعاود لك نخليها لك فى الثنية كان تتركنى

ـ وقتـاش ترجـع !
ـ بعد المغـرب .
ـ ما توخـرش !
ـ بعـد المغـرب ٠
ـ يا سالم سالتك على خاطر باش نسكر بكرى الليلة !
ـ آه ؟ اش عنده فاشكة الليلة سهرية ؟ عوادة ؟
ـ لا شى مـا فمـه
ـ ربوخ ؟ مزود ؟ قدرة ، مرمز
ـ لا شـى شىء
ـ والله لعروسى يحب النصبات ويخاف لا يوخر تقلى ما عرفناش
ـ لا ما فمـه شى
ـ ويخبى زادة تقـلى
ـ قـدره عند الحطـاب

ـ يدير الرجل ساقيه ويبتعد ٠٠ يدير ساقيه ببطء ، وتمايل ، وخيلاء ، ويبتعد عن الحانوت ٠٠ ويبقى عم لعروسى ينظر اليه ٠٠ بانكسار ثـم يلتفت الينا ويتذكرنا ، ويسألنا صابا علينا غضبه كله :

ـ ماذا تريـدان ؟
ـ فنقـول لـه
ـ الدراجة الصفراء الدراجة الصفراء !

ـ ونمد له الدورو فيفتح يده ويتناوله بدون كلام ٠٠ ثم يقول لنـا بغضب وحنـق

ـ هيـا خذاها وانصرفا عـنى

ونتناول الدراجة من بين الدراجات وننصرف ٠

٠٠ ويبقى يفكر قائلا فى نفسه أعرف ، أعرف ، بعد عشر دقائق على اكثر تقدير سوف تعودان وتمران أمام الحانوت خائفين مـرتجفين واشير اليكمـا فتذعنان كحملين وديعين ٠٠ اما الآخر ويعبس ٠٠ وتتغير ملامحه ويبقى يفكر فى الدراجة الجديدة الزرقاء .. ويهتم ويحزن .. ويزداد وجهه اصفرارا .

ـ يتبـع ـ

محمـود بلعيـد

يوميات رجل فاقد للذاكرة

شعر : الحبيب بن فضيله

يومية أولى :

كُنتُ أمْشِي ..
حَامِلاً حُزْنِي ..
وَنَعْشِي .
حينَ لاحَتْ
مِنْ على الرّبوةِ آلافُ الايادي ..
بالمناديلِ تلوّحْ ..
وَتُنَوّحْ ..
وَتُنادي :
« لا تَقِفْ ! »

يومية ثانية :

وَبِلا أيّ وَدَاعْ ..
كفّنَتْ عشْقِي ..
وفرّتْ !
والمسافاتُ بعيدَهْ .

يومية ثالثة :

أقرأُ فِي عينَيكْ
نَشَرَاتِ الاخبارْ
عَنْ زَمَنٍ مهْزُومٍ ..
مفْضُوحِ الاسْرَارْ ..
أقرأُ أحزانَكَ ..
حينَ تُعانِقُ أحزانِي .

دور الترجمة في تدعيم النهضة العربية

بقلم : البشير بن سلامه

عندما كانت اللغة العربية فى عصور ازدهارها الاولى لغة الامة الغالبة التى حملت الى البشرية رؤية للكون جديدة . واكسبت العالم شحنة من الحياة قوية طريفة ، كان الافذاذ من الامم المغلوبة ينقلون الى لغة الضاد كل ما وصلت اليه لغاتهم من علوم واداب . فكان ذلك منطلقا للغة العربية لتفوق غيرها من اللغات وتبقى قرونا عديدة المنبع الثر للعلوم والمعارف ينقل منها ويترجم عنها .

ولما انكفأ أهل العربية على أنفسهم واخذوا يجترون تراثهم واغلقوا اعينهم عن كل بريق ياتيهم من اللغات الاخرى نضب معين المعرفة عندهم وتحجر الفكر وانتفى الخلق . فكأن الترجمة بوجودها حية فى مجتمع ما ، عنوان لليقظة والتقدم ، وانعدامها يعد نذيرا بالتدهور والانحطاط .

وصادف أن صاحب عصر النهضة الاولى حركة للترجمة جد نشيطة فى عدة بلدان عربية فاوشكت أن تعيد النسق نفسه الذى عرفته اللغة العربية فى عصور ازدهارها الاولى . الا ان انتصاب الاستعمار فى البلدان العربية مشرقا ومغربا وطغيان اللغات الاجنبية على الحياة العلمية واليومية وانصراف النخبة فى المعاهد والمؤسسات العامة والخاصة الى استعمال لغة الغاصب كل هذا غير وجهة الترجمة وجعلها منحصرة اثناء فترة طويلة (اوائل القرن العشرين) فى عناوين بارزة من الادب والفكر العالميين وبقى أهل الاختصاص فى العلوم الصحيحة لا ينقلون الى العربية الا النزر القليل وعند بروزهم في المحافل الدولية يميلون بالطبع الى استعمال اللغات الاجنبية .

وهكذا فان حركة الترجمة فى البلاد العربية من عصر النهضة الى اليوم لم تقم بالدور الذى كان عليها أن تقوم به لا فى مجال التدريس ولا التثقيف وبقيت متعثرة عشوائية ، ضاربة فى التيه .

ناهيك ان بعض البلدان العربية اختارت فى التعليم والحياة العامة نوعا من الازدواجية واعتبرت ذلك فقط نجاة لها من القبوع فى مهاوى التأخر وربحا للوقت بسرعة الكرع من المنابع الاجنبية مباشرة معتبرة أن الترجمة قد تعطل السير أو تنحرف به الى منعرجات لا تؤمن التقدم ولا النهضة .

واذا كان ذلك أمرا ضروريا اذ حذق اللغات يعد بابا من أبواب التواصل بين الحضارات وسبيلا سريعا وناجعا لمواكبة العصر والبعد عن التأخر عن الامم المتقدمة فان الترجمة إلى .. ومن اللغة القومية لا مناص منه لاحكام هذا التواصل .

واذا كان من المفروغ منه ان اللغة القومية هى الاداة الاساسية لنهضة الامة وبواسطتها تزدهر عملية الخلق وخاصة بنقل العلوم والمعارف والاداب والثقافات اليها ، فانه لا مفر من المرور من مسلكين اثنين :

ـ اما اللجوء الى استيعاب ما لم تحتو عليه اللغة القومية وهضمه ثم صوغه من جديد بشىء من التصرف ثم الابتكار وهذا لا يقدر عليه الا المختصون والقلة القليلة منهم ولا يؤثر على المناخ الثقافى الجماهيرى لانحصاره فى ميدان معين ضيق .

ـ واما الاتجاه الى الترجمة بالنقل الآلى المضبوط لكل ما يجد فى ميادين العلم والمعرفة بالاستناد الى الاقطاب وتيسير ذلك على أوسع مدى واكثره اتصالا بالجماهير .

بعيدا عن الترف :

فالترجمة اذن اداة ضرورية لتقدم المجتمع وليست كسلا حضاريا كما يدعيه البعض بل القبوع فقط فى لغة الاجنبى هو الكسل الحضارى وهو الرضا بالدون سواء بالنسبة للفرد او المجتمع وهو البقاء الى ابد الدهر فى تبعية مقيتة لا تنحل عقدتها لانها تحكم على اللغة القومية بان تبقى منحصرة فى التراث تدور فيه ولا تخرج عنه وتمنعها من الانتفاع بالافذاذ من ابنائها الذين ارتضوا الراحة والدعة فى لغة الغير .

وليس ادل على أن الترجمة هى ضرورية لكل مجتمع مهما كانت درجة تقدمه، من رصد الامم المتقدمة لاعتمادات ضخمة من شأنها أن تنقل الى لغاتها كل ما جد من جديد عند الغير (ثلثا الكتب المطبوعة فى المانيا الديمقراطية مترجمة) وليست الاحصائية الصادرة عن اليسنكو عن ترجمات الامم الا حجة للتأخر الذى يعانيه المجتمع العربى فى ميدان الترجمة فلا اللغة العربية تعد من اللغات المحظوظة التى يترجم عنها ولا هى من اللغات الاولى التى تترجم عن الغير وليس من الغريب أن نجد اعظم الدول واقواها هى المتصدرة للقائمة فى مجال الاخذ والعطاء عن طريق الترجمة .

فاول عمل يجب ان نقوم به هو اقناع المسؤولين وغيرهم بضرورة هذا العمل وجدواه لان الازدواجية التى يحلو للبعض أن يعدد مزاياها ، ومزاياها كثيرة لا محالة ، فائدتها بالنسبة للمجموعة اقل بكثير من عملية الترجمة ، لان الموظف او المهندس او اى مختص كان ، العارف بلغة اجنبية يستعمل هذه اللغة فى مهنة فينتفع وينفع حلقة صغيرة من الناس بينما الكاتب المترجم يتجه بالنفع والفائدة الى المجموعة كلها فينتقل بذلك من العمل النخبوى الى العمل الجماهيرى التثقيفى .

فالترجمة اذن ضرورية وليست ترفا ولا تغنى عنها معرفة اللغات الاجنبية المتقدمة اذ الترجمة :

ـ تضع جسرا بين الامم اساسه التواصل الذى من شانه ان يدعم التحابب بين البشر ويقر بالنسبة الى العلاقات التى تجمع بينهم أواصر التفاهم والسلم

ـ تنقل حصيلة العلوم والمعارف والاداب التى هى فى الواقع رؤية خاصة للعالم تحملها اللغة ونظام طريف لمعطيات التجربة .

ـ تدخل على اللغة الام ايقاعا جديدا يضفى عليها حيوية لم تعرفها من قبل (مثل كليلة ودمنة لابن المقفع) .

فالترجمة اذن عامل من عوامل النهضة وعنصر فعال فى السباق الحضارى اهتمت به الامم قديما وحديثا ويجب علينا ان ندخله فى تقييمنا لدرجة تقدم الامة العربية فكريا ومستوى وعى جماهيرنا بقضايا العصر .

واذا كنا نتمسك اشد التمسك بأصالتنا ومقومات شخصيتنا ونوعية رؤيتنا للكون فانه لا مناص من معرفتنا لما يجرى فى العالم لنفهمه على حقيقته ونتفاعل معه أخذا وعطاء .

وان من الاسباب المهمة التى ابقت الجماهير العربية متأخرة عن ركب الامم الاخرى هو ضآلة حركة الترجمة وتشتت الجهود المصروفة نحوها اذ تبين بكل وضوح ان ما تقوم به مؤسسات التعليم ليس دائما كافيا لرفع مستوى الجماهير وان عملا تثقيفيا يعتمد ايصال اهم تيارات التقدم فى العالم بكل صدق وبدون تشويه وسائل الاعلام وتمويهها وتبسيطها امر يحتمه الوضع والترجمة الامينة التى تعد مرآة لما يجرى فى العالم هى سلاح قوى من شأنه ان يوصلنا الى الغاية المرجوة .

الاستفادة من تجارب بلدان العالم :

وليس من شك فى انه من الواجب معرفة حركة الترجمة بالنسبة الى بلدان العالم بحسب أنظمتها وتمشياتها الثقافية وهل أن هذه الحركة عشوائية أم منظمة؟ وهل انها بلغت فائدتها القصوى أم لا؟ وهذا مهم جدا لانه علاوة على ما يوفره لنا من امكانيات توضيح الطريق فى مجال خطتنا فانه يمكننا من التفكير فى ربط الصلة بالجهات الساهرة على هذا الاختصاص وتوسيع آفاق عملنا .

وكذلك يتعين معرفة واقع الترجمة فى كل بلد عربى من حيث مكانتها ومن حيث المترجمون والمؤسسات المعنية بهذا الموضوع وليس من المستحيل معرفة ما ترجم وتقييمه وان كان هذا العمل يحتاج الى مدة للوصول الى ما يرضى الدارس فانه يعطى فى أوائله فكرة عن مواطن الضعف .

ولقد مرت الترجمة فى تونس بمراحل عديدة فهى قامت فى فترة الاصلاح الاولى عند تأسيس المدرسة الحربية بباردو ، بدور حضارى تواصل مع خير الدين ومع تأسيس المدرسة الصادقية سنة 1875 .

لكن النشر لم يكن مزدهرا بالدرجة التى أتاحت ظهور كتب جديدة مترجمة بل انحصر الامر فى نخبة قليلة عرفت اللغات الاجنبية ومارست الترجمة فئات قليلة .

مطلوب خطة محكمة :

وما دام وضع الترجمة فى العالم العربى على هذا المستوى من الغموض والاستهانة فانه لا مهرب من خطة محكمة يقتنع بها الجميع ويحزمون أمرهم على تنفيذها ولا يمكن ان تكون هذه الخطوة عملية الا اذا احدثت هيئة عليا للترجمة فى صلب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تعمل باتصال متين مع هيئات تبعث فى كل بلد عربى ويكون محتوى هذه الخطة كالآتى :

القيام بعمل حثيث فى كل البلدان العربية أساسه تحسيس الدوائر المسؤولة والمؤسسات التعليمية والثقافية بأهمية الترجمة وفوائدها فى النهضة العربية الشاملة . وذلك باستعمال كل وسائل الاعلام والاتصال بجميع من يهتم بالترجمة ويستفيد منها من قريب أو بعيد .

تقييم وضع الترجمة فى كل بلد عربى بصورة منتظمة وجمع كل المعطيات التى تهم المترجمين والكتب المترجمة واصنافها عن طريق الايداع القانونى والمكتبات الوطنية ومكتبات الجامعات والملاحظ فى هذا الشأن هو القيام بمقارنة بين ما تقوم به البلدان المتقدمة فى حقل الترجمة وما وصل اليه الوطن العربى.

التفريق بين عملين يخصان الترجمة :

– العمل التعليمى المختص الذى يهم مؤسسات التعليم على مستوياتها المتعددة .

– العمل التثقيفى الجماهيرى .

والعمل الثانى هو الذى يهم المنظمة ويصرف عنايتها الى كل ما من شأنه أن يعرف الجماهير العربية بالتيارات الفكرية والعلمية فى العالم .

ضبط المقاييس التى على أساسها تتعهد كل هيئة بتحسيس المؤسسات المحلية لتقوم بعمل الترجمة . وهذه المقاييس يجب أن تأخذ بعين الاعتبار : أهم العناوين والمؤلفين الذين تترجم لهم البلدان المتقدمة ، والاهتمام بالابواب الآتية من المعرفة العامة: الدول العظمى،الدولة القومية والتعاون الدولى،والدور الجديد للدولة ، انتصار التصنيع ، المجتمع المصنع ، المجتمعات غير المصنعة ، التطور السكانى فى العالم ، التفكير العلمى الجديد : العلوم الفيزيائية ، الانتاج الصناعى (المواد الطبيعية والطاقة – التكنولوجيا – اليد العاملة وطرق استعمالها) ، النقل ، تواصل الفكر ، وسائل التدمير ، والعلوم البيولوجية وتطبيقها ، تطور العلوم البيولوجية ، التغذية والفلاحة ، الصحة والسكان .

وعلوم الانسان والعلوم الانسانية : السلوك الانسانى والروابط الاجتماعيه، الطفل والمنزل ، الوسط بالمدينة والريف ، الخدمات الاجتماعية .

المجتمعات وتطورها : تطور الافكار ، الهياكل الاقتصادية ، تنظيم المجتمعات، المؤسسات السياسية ، المؤسسات العسكرية ، الاديان الكبرى ، التعليم

والبيداغوجيا ، وسائل الترفيه (المطالعة ـ السنما ـ التلفزيون والاذاعة ، الرقص والموسيقى ، الرياضة ، الرحلات) .

والشعوب وطموحها : الايديلوجيات ، أهم المجهودات فى ميدان الثقافة فى بلدان العالم ، أهم المجهودات الرامية الى تحرير الانسان وحفظ كرامته (أهل الريف ـ العمال ـ المرأة ـ الاجناس) .

والاداب والفنون : ثقافة العالم الغربى : الفنون المرتبة ـ العمارة ـ الموسيقى ـ الاداب ـ الوسائل الجماهيرية ـ ثقافة العالم الشرقى (الاداب والفنون) .

وعلى هذا الاساس تختار كل هيئة الكتب التى ترى من الواجب التوعية بها وتحض المؤسسات المعنية على طبعها ونشرها .

الاعتماد على الناظم الآلى :

ومن المستحسن أن تعتمد المنظمة فى تنظيم خطة الترجمة على ناظم الالى الذى بامكانه بعد جمع الحاجيات وتبويبها وبرمجتها ان يكشف بوضوح عن مواطن النقص .

وكذلك التفكير فى استعمال الاعلامية فى ميدان الترجمة خاصة وان المعامل وصلت الى صنع جهاز يترجم بصورة آلية وان كانت هذه الآلة بسيطة فان السنوات المقبلة ستشهد تطويرا لها . ولهذا فانه من المستحسن ان تدرس المنظمة هذا الموضوع وتسبر مدى ما يمكن أن يعين به هذا الاتجاه على تحسين وضع الترجمة .

تجتمع الهيئة العليا للترجمة مرة كل ستة أشهر للتعرف على مدى التقدم فى تنفيذ الخطة واخذ القرارات الملائمة للسير حثيثا نحو الغاية المطلوبة .

وهكذا يتسنى لنا ان نخرج بعد فترة ليست بالطويلة بما من شأنه أن يوضح لنا السبيل أمام هذا الموضوع الشائك .

البشير بن سلامه

... إلاَّ الشِّعـــار !

شعر: محمد بن صابر

يـوم أن عـوض الجهـاد حـوار   حـل بالمسلميـن منـــه البـوار
ذلـك الـواجب المقدس أمسـى   فى تنـاس بـه احتوانـا العـار
يـا زمانـا بـه الفتوحـات تتـرى   ووصــــالا أدارت الأقــــدار ؟
قـدر المـرء فـى يـديـه ولكـن   لكثيـر الى الـقـضـــاء فــرار
أيـن رام بـثـمـرة فصلتــه   عن دخـول الخلـود نعـم القـرار
آثـروا المـوت عـن حيـاة بـذل   فـاذا عيشهـم عـلى وانتصــار
فتحـوا عـالـم الحـوالـك فتحـا   لسنـاء الاســلام فيـه انتشـار
فتـرى العـدل سائـدا لا غنـي   مستبـد ولا فقيـر يـضـار
بجهـاد فـى اللـه زلـزل ركنـا   من عـدو أتـى عليـه الـدمار
يلتقى المؤمنـون صـدرا لصـدر   بخصـوم يطيـر منهـا اصطبـار
ناشـد المـوت نـال خيـر حيـاة   ولمـن يعبـد الحيـاة انـدثـار
أترى القـدس هـودت تحـت قهـر   وعليهـا يسيطـر استعمـار !
فـى تحـد يثيـر كـل كـريـم   مـن لئيـم فى طبعـه استهتـار
أى أمـن يلـذ ؟ أى سـلام ؟   أمـقـام يطيـب واستقـرار ؟
وعـدو يـصـول وفـق هـواه   فـى غـرور يـزيـده الاصـرار
وهـو ذو الجبـن والرعونة أصـلا   ومـن الرعـب قلبـه مستطـار
فمتـى دارت الحـروب عـراه   خفقـان فـطـفـرة فانفطـار ؟
أعـوزتـه شجـاعـة فـتـوارى   واستبـان اختـراعـه الـغـدار
فـئـة تغلـب الكثيـر ولكـن   أيـن ذاك الايمـان فهـو المـدار ؟
وجنحنـا الى استكانـة عجـز   فـت من عزمنـا وطـال انتظـار
ليـس يبـلى من التفـاوض حبـل   سـوف تبـلى من دونـه الاعمـار
وتـوالت عـلى العروبـة فى مـا   ضـى زمـان مـن البـلا أطـوار
وهـى فى حاضـر دهاهـا احتضـار   تتمنـى لـو قبـل كـان انتحـار
ليت شعـري فـان ذاك محـال !   ومنـال قـد شـط منـه المـزار
ليس فيهـا من عزمة الصدق تبني   غاليات الآمـال .. الا الشعـار !

قراءة موجزة عن جابر بن حيّان الصّوفي

بقلم : د . عبد الرحمان محمد النبليلي

هو علم من اعلام الفكر الاسلامى (1) كنا نتوقع أن نجد عنه الرواية المستفيضة والخبر اليقين لكننا لا نصادف فى ذلك الا أقوالا متعارضة . فقد بلغ فيها اختلاف الرأى حدا ينكر معه المنكرون ان رجلا كهذا شهده التاريخ .

تقول عنه جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين : إنه لا أصل له ولا حقيقة (2) وبعضهم قال : إنه ما صنف وان كان له حقيقة الا كتاب **الرحمة** وان هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه اياها . ويعقب عليها صاحب الفهرست بقوله : ان رجلا فاضلا يجلس ويتعب فيصنف كتابا يحتوى على ألفي ورقة يتعب قريحته وفكره باخراجه ويتعب يده وجسمه ثم ينحله لغيره اما موجودا أو معدوما ضرب من الجهل وان ذلك لا يستمر على أحد ، ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم وأية فائدة فى هذا وأية عائدة والرجل له حقيقته وأمره أظهر وأشهر وتصنيفاته أعظم وأكثر .

أما الاختلاف الثانى الذى نقع فيه يدور حول اسمه فهو آنا أبو عبد الله جابر بن حيان (3) وآنا آخر : أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الكوفى (4) .

---

(1) جابر بن حيان ، اعلام العرب ، د. زكى نجيب محمود ، وزارة الثقافة ، ص 11 . أيضا قراءات فى تاريخ العلوم عند العرب حميد موراني ، د. عبد الحليم منتصر ، دار الكتب الموصل ، ص 132 – 136 ، أنظر الموسوعة ، ج 2 ، باريس ، 1965 ، « مادة جابر بن حيان » ، ص 367 – 369 .

(2) الفهرست ، لابن النديم ، مكتبة خياط ، بيروت ، ص 351 .

(3) نفس المصدر ، ص 351 .

(4) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة جابر بن حيان ، أيضا : الاعلام ، خير الدين الزركلى ، ج 2 ، ط 2 ، حرف ج ، ص 90 .

أما الاختلاف الثالث في مسقط رأسه وتاريخ مولده حيث تعددت الروايات فهنالك من يعتبره فارسيا ولد في **طوس** من بلاد خراسان (5) ورواية أخرى تقول : انه من **طوســوس** فقال عنه الطوسوسى (6) : ورواية ثالثة **تجعلـه** صابئا من **حــران** فقال عنه الحرانى (7) : أما صفة الكـوفى التى نجدها فى الكثير من الروايات فهى على الارجح والمؤكد ترجع الى مقامه فيهـا مـدة من الزمن ـ حيث قالت عنه الشيعة : انه من أهل الكوفة ... ـ وحدثنى بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة : انه كان ينزل فى شارع بـاب الشام فى درب يعرف بدرب الذهب وقال لى هذا الرجل : ان جابرا كان أكثر مقـامه بالكوفة وبها كان يدبر الاكسير لصحة هوائها ولما أصيب بالكوفة **الازج** الذى وجـد فيه **هـاون** ذهب فيه نحو مـائة رطـل . ذكر هذا الرجل ان الموضوع الذى أصيب ذلك فيه كان دار جابر بن حيان فانه لم يصب فى ذلـك الازج غيـر الهاون فقط وموضع قد بني للحل والعقد ... حيث تقول الرواية : ان هذا حدث فى ايام عز الدولة ابن معز الدولة (8) .

وفى الاعلام أيضا ينحو بأن جابر بن حيان كان من أهل الكوفة (9) **كذلك** كان محسن الامين فى أعيان الشيعة . والظاهر أن ما دعا جابر الى **الاقامة** فى الكوفة زمنا هو ان ابن حيان عاش فى بلاط هارون الرشيـد فى بغداد وكان على صلة حسنة بالبرامكة والظاهر من سيرته انه كان أشد تعلقا بهـم منـه بخليفة المسلمين لان البرامكة كانوا يعلقون على علم الكيمياء شأنا كبيرا وكانوا يشتغيون بذلك العلم ويدرسونه درسا عميقا ولقد ذكر جابر فى كتابه **الخواص** كثيرا من المحاورات التى وقعت بينه وبينهم فى معضلات هذا العلم ، فقاسى الكثير من انتهاك الجهلاء لحرمته ومكانته وانهم كانـوا **يحسـدونه** على علمـه وفضله وانه اضطر الى الافضاء ببعض اسرار الصنـاعة ـ أى الكيميـاء ـ الى

---

(5) الفهرست : وقد قيل ان أصله من خراسان ، والـرازى يقول فى كتبـه المؤلفة فى الصنعة أى الكيمياء قال : أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان.

(6) وجعل أصله من الصابئة حيث ذكر : أنه كان صابئيا ، ثم اسلم وتزهد وتصوف .

(7) كشف الظنون ، لحاجي خليفه .

(8) الفهرست ، ص 351 .

(9) الاعلام ، خير الدين الزركلي ، القاهرة ، ج 2 ، ط 2 ، ص 90 .

هارون الرشيد والى يحيى البرمكي وابنه الفضل وجعفر وان ذلك هو السبب في غناهم وثروتهم ولما ساورت الرشيد الشكوك في البرامكة عرف ان غرضهم نقل الخلافة الى العلويين مستعينين على ذلك بمالهم فقتلهم عن آخرهم واضطر جابر ان يهرب الى الكوفة خوفا على حياته حيث ظل مختبئا الى ايام المأمون وظهر بعد احتجابه (١٠) .

ومن نقط الاختلاف عن حياة جابر بن حيان ، تاريخ مولده ، حيث لم تذكر المصادر العربية المعروفة ولادة جابر والثابت ان الدعوة للعباسيين نشطت سنة ١٠٠ هجرية ، حيث انتشر رسلهم في البلاد لبثها وقد ولد جابر في اثناء قيام أبيه بنشر الدعوة في مدينة **طوس** لهذا رجح ان تكون ولادته سنة ١٠٠ هجرية وهي توافق سنة 720 م (١١) وقد ورد في كتاب الاعلام : ان جابرا توفي سنة ١٦١ هـ لان وفاة جعفر الصادق كانت سنة ١٤8 هـ. ثم يورد بانه وجد في كتاب **الدريعة** نصا جديدا له قيمته وهو رواية أبي الربيع سليمان بن موسى بن أبي هشام عن ابنه موسى في صدر كتاب **الرحمة** لجابر بن حيان قال : لما توفي جابر بطوس سنة المئتين من الهجرة وجد هذا الكتاب تحت رأسه فهذه الرواية أفادتنا من معرفة البلد والعام اللذين توفي بهما جابر ، ورجح القول : بأنه كان من أصحاب جعفر بن يحيى البرمكي المتوفى سنة ١٨7 هـ ويؤيد هذه الرواية ما في « **نهاية الطلب للجلدكي** » من ان جابرا أدرك عصر المأمون (١٢) أما الاستاذ زكي نجيب محمود فهو يرجح على وجه يقرب من اليقين : أنه عاش خلال النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي والجزء الاول من القرن التاسع (١3) وعن ذلك يقول **هولم يارداج في كتابه** : « **الكيمياء في عصر دالتون** » الذي عني بدراسته : ان حياة جابر امتدت خلال

---

(١٠) أعيان الشيعة ، محسن الامين ، تحقيق : حسن الامين ، ج ١5 ، ط 2 ، ص ٩١ .

(١١) جابر بن حيان وخلفاؤه ، ط 2 ، محمد فياض ، سلسلة اقرأ ، ص 36.

(١٢) الاعلام ، ص 90 ، حرف ج .

(١3) جابر بن حيان ، د. زكي نجيب محمود ، اعلام العرب ، ص ١5 .

الشطر الاكبر من القرن الثامن ، كما ذكر في بعض الروايات : انها كانت سنة مائتين للهجرة في بعض الموارد (14) .

وكما اختلف الناس في حقيقته التاريخية ، واختلفوا في مولده مكانا وزمانا ، واختلفوا في اسمه . وكذلك اختلفوا في أمره والى أى فئة أو مذهب ينتمي فقالت الشيعة : إنه من كبارهم (*) واحد الابواب (15) . وزعم قوم من الفلاسفة : انه كان منهم وله في المنطق والفلسفة مصنفات ، وزعم أهل صناعة الذهب والفضة : ان الرياسة انتهت اليه في عصره وان أمره كان مكتوما ، قال : وزعموا انه كان ينتقل في البلدان لا يستقر ببلد خوفا من السلطان على نفسه، وقيل : انه كان في جملة البراكمة ومنقطعا اليهم وملتحقا بجعفر بن يحيى ، ومن زعم هذا قال: إنه عني بسيده جعفر هو **البرمكي** ، وقالت الشيعة: انما عني جعفر **الصادق** لان جابرا شيعي فلا غرابة أن يعترف بالسيادة لامام شيعي (16) . وقال السيد علي بن طاووس الحسين الحلي في كتابه فرج

---

(14) كتاب السندات الذهبية في تراجم الائمة الاثنى عشر عند الامامية ، شمس الدين محمد بن طولون ، تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد ، ط دار صادر ، بيروت ، 1958 ، ص 85 .

(*) يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فان لم يكن له استاذ لا يفلح أبدا . هذا أبو يزيد : يقول من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان . وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول : الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس ، فانها تورق لكن لا تثمر كذلك المريد اذا لم يكن له استاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا فهو عابد هواه لا يجد نفاذا ـ ولعلني أرى أن جابرا قد أخذ بهذا الرأى ـ وعلى المريد أن يتأدب بشيخ ـ (الرسالة القشيرية) .

(15) الفهرست ، ص 351 .

(16) جعفر الصادق ، ولد عام 80 هـ (699 ـ 700 م) أو 83 هـ (702 ـ 703 م) وخلف في الامامة أباه محمد الباقر ولم يكن له شأن ما في عالم السياسة ولكنه عرف بدرايته الواسعة بالحديث وهو سادس الائمة الاثنى عشر عند الامامية ، انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، كذلك : معجم المؤلفين ، ج 3 ، عمر رضا كحالة ، دمشق ، 1957 .

الهموم بمعرفة علم النجوم عن ذكره لجماعة الشيعة كانوا عارفين بعلم النجوم ومنهم جابر بن حيان صاحب الصادق عليه السلام (17) . وفى أعيان الشيعة يؤكد : بأن جابر ابن حيان **بجانب انه** خراسانى النسب عراقى المنشأ فهو شيعى المذهب كما له كتب فى الشيعة (18) هذا الى وفرة المصادر التى تتردد فى ان جعفر المشار اليه فى حياة جابر ونشأته هو **جعفر الصادق** . فيذكر **حاجى خليفة** جابر مصحوبا بعبارة تلميذ جعفر الصادق (19) ويقول **البارون كارادى فو** : وهو يتحدث عنجابر ومعلميه : **هما خالد بن يزيد** بن معاوية(20) **وجعفر** الصادق كما عد المشتغلون بالصنعةوهواة السيمياء والطلسمات والعلوم السرية جابر الحلقة الموصلة بين رجال هذه العلوم وجعفر الصادق أو جابر تلميذ جعفر الصادق وهو فى هذه أشهر تلميذ من التلاميذ المنسوبين الى الامام (21) . ومن أمثلة **الاشارات الى جعفر الصادق الواردة فى الكتب** المنسوبة الى جابر والتى تؤيد معاصرته له هذه العبارة الموجودة فى كتاب **الرحمة** : « قال جابر بن حيان قال لى : سيدى جعفر يا جابر ، **فقلت** : لبيك سيدى ، فقال : هذه الكتب التى صنفتها جميعها وذكرت **فيها الصنعة** وفصلتها فصولا وذكرت فيها من المذاهب وآراء الناس ، وذكرت **الابواب**

(17) أعيان الشيعة ، محسن الامين ، تحقيق : حسن الامين ، ط 2 ، 1962 ، ص 89 .

(18) نفس المصدر ، ص 107 .

(19) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، حاجى خليفه ، طهران ، ص 343 .

(20) خالد بن يزيد : **هو** أبو هاشم خالد بن الخليفة يزيد الاول **ثانى** الخلفاء الامويين وحفيد معاوية وهو أول من ورد اسمه من العرب المسلمين مقرونا بهذا البحث « الكيمياء » .

(21) مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابع ، 1960 ، ـ جواد علي ـ المجلة « الشذرات الذهبية » ، ص 85 ، وله أى جعفر الصادق كلام فى صنعة الكيمياء وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطوسوسى ، وقد صنف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهى خمسمائة رسالة .

وخصصت كل كتاب منها بعمل ... » (22) . ولاحظ الاستاذ **فليب حتى** صلة جابر بالصادق فى كتابه **تاريخ العرب** (23) . كما أساند وأشاطر الاستاذ **كامل الشيبى** فى كتابه **الصلة بين التصوف والتشيع** (24) . حيث مهما يكن من أمر فان كتب الشيعة القديمة لم تورد اسم جابر بن حيان فى سلسلة تسند أى حديث ينسب الى جعفر الصادق ثم ان جابر ابن حيان فى روايته للعلوم عن جعفر الصادق كان على مثال افلاطون الذى روى انتاج سقراط اذ يصفه بأبى الفلاسفة وسيدها كلها وهذا دليل على تأثره وأخذه من اليونانيين (25) كما تختلط عند جابر طائفة الفلاسفة بطائفة الانبياء ، فهؤلاء من أولائك وأولائك من هؤلاء (26) وفى موضع آخر نجده يقول : ان الشرع الاول انما هو للفلاسفة فقط ان كان أكثر الفلاسفة أنبياء كنوح وادريس وفوتاغورس وطاليس وعلى مثل ذلك الى الاسكندر (27) ولو ان د.زكى نجيب فى كتابه عن جابر يعتبره من الشيعة سياسة وهو من الفلاسفة جدلا وهو من الكيمياويين علما ، ثم هو فوق هذا وذلك صوفى حتى لقد لصقت صفة الصوفية باسمه كأنما هى جزء منه ، فيدعى حيثما ورد ذكره جابر بن حيان الصوفى كما يدل عليه قول ابن **النديم المعروف** بالصوفى وقول **القفطى** ومتقلد العلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الاسلام بجانب المترجمين له بالصوفى . كما ورد أيضا فى كتاب **أخبار الحكماء** ان جابرا بن حيان كان مشرفا على كثير من علوم الفلسفة متقلدا للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين **كالحارث المحاسبى** و **سهل بن عبد الله التسترى** ونظرائهم وفى ترجمة **القفطى** له « فى تاريخ الحكماء » : ان العادة فى الطريقة الصوفية ان يتبع كل صوفى منهم شيخا له ولا يبعد ان يكون

---

(22) مصنفات فى علم الكيمياء ، لحكيم جابر بن حيان الصوفى ، باريس ، 1938 ـ جواد علي طه ، المصدر السابق .

(23) تاريخ العرب ، صلة التصوف ، ص 387 .

(24) الصلة بين التصوف والتشيع ، د. كامل الشيبى ، ص 287 ، ج 1 ، ط الزهراء ، بغداد .

(25) كتاب التجميع ، مختارات كراوس 389 ، أيضا : د. زكى نجيب ، المصدر السابق ، ص 233 .

(26) كتاب اخراج ما فى القوة من الفعل ، مختارات كراوس ، ص 37 .

(27) د. زكى نجيب ، المصدر السابق ، ص 234 ، من كتاب جابر الخواص الكبير ـ المقالة الاولى ـ .

جابر قد تتلمذ بالفعل على جعفر فى الصوفية ولا يبعد ان يكون قد سمع منه شيئا فى الكيمياء . ويذهب صاحب « أعيان الشيعة » فى القول : بأننا نستنتج ان جابرا يعتقد بوجود طريقين لادراك الصنعة : طريق ظاهرى وذلك باقتناء أثر الطبيعة والتداريب وطريق باطن وذلك بمعرفة الفرضيات الكبرى وتطهير النفس البشرية وان ما استقاه من معلمه الروحى الطريق الثانى وهو فى العموم واضح التعبير عن رغبته فى اخفاء علمه الا على من يحسنه ففى رواية **الجلدكى** « **شرح المكتسب** » ، أراد أن يتعلم الكيمياء فأخذ هذا يصرفه ويراوغه ولما ألح عليه قال له : انما أردت أن أختبرك ... ولتكن من أهل هذا العلم على حذر ممن يأخذه عنك ... (28) كما نلاحظ فى تحاليل تجاربه نوعا من التمحيص والتيقن وفى تجارب أخرى تكون معقدة الحديث فى ظاهر الامر على شىء ما ـ كالكلام فى التناسخ مثلا ـ لكنه يجعل باطن الحديث كما يقول **الطغرائى** فى كتابه « **مفاتيح الرحمة** » يجعل باطن الحديث منصرفا الى علم الكيمياء حتى لا يفطن الى هذا العلم الكيمياوى عنده الا من يريد لهم هو أن يفهموه حيث يكون المؤلف احيانا صاحب ظاهر وباطن وهو أمر مألوف فى المؤلفين القدامى فقد يظهر المؤلف شيئا ويخفى شيئا لذلك يقول صاحب « أعيان الشيعة : ان من أهم مصادر معرفته الالهامات الباطنية التى اقتبسها عن امامه جعفر الصادق وهو على ما يظهر ان جعفر معلم جابر هذه الامور وهو شيخه وامامه وموجهه وراشده وناصحه ، لاحظ **فليب حتى** صلة جابر بالصادق وذكر انه ادعى مذهبا خاصا فى الزهد .

بعد كل ما تقدم فى ذكر جابر يمكن لنا ان ننحى بجانب الرأى الذى نجده فى كتاب **الصلة بين التصوف والتشيع** للاستاذ كامل الشيبى بأن صلة جابر بالتصوف اسمية لانه لم يكن صاحب مجاهدة أو ناطقا بأقوال زهدية وانما

---

(28) انظر : كشف الظنون ، 343 ـ 4 ـ أيضا : د. زكى نجيب ، جابر بن حيان ، ص 26 .

(29) أعيان الشيعة ، ص 102 .

نقل عنه اشتغاله بالكيمياء ، استنادا على املاء السيد **هبة الدين الشهرستاني** وهو من مجتهدي الشيعة المعاصرين روى لنا عن استاذه شيخ الشريعة الاصفهاني ان تسمية جابر بن حيان بالصوفي ليست منسوبة الى الصوف وانما النسبة الى **سوفيا اليونانية** بمعنى الحكمة فقيل : سوفي ثم أشبع العرب السين فصارت صوفي وصوفية ، وقال : وأول هؤلاء المسلمين جابر بن حيان المشهور بالصوفي ولم يكن هذا الفيلسوف العظيم حاملا لاى مبدإ من مبادىء الطريقة الصوفية فان كون جابر أول من اطلق عليه لفظ صوفي في الاسلام يصطدم بعقبتين : الاولى انه لم يكن زاهدا بالمعنى المفهوم من الزهد نائيا عن المشاركة في الاحداث والاعراض عن المادة يضاف الى ذلك اننا لم نسمع عنه كونه من البكائين أو العباد المتنسكين . أما الاتجاه الثالث فأعارض فيه الاستاذ كامل الشيبي في كتابه المذكور لشكوكه في وجود جابر بن حيان مستندا على خلو كتب رجال الشيعة والصوفية من ذكره باعتباره حلقة في سلسلة وهو يرجح أخيرا بأن شخصية جابر هي لا تعدو ان تكون أسطورة ، وهنا أرد القول : بأن جابر كان منزويا كغيره من الزهاد حيث صرف جل وقته في الاشتغال بالكيمياء والحكمة كما ان هذا الانزواء أيضا يرجع لظروف العصر والبيئة التي عاشها جابر بن حيان .

كما ان لجابر طلاب أخذوا عنه **كالخرقي** ، **وابن عياض المصري** المتوفى سنة 187 هـ 803 م (30) كما ان **الرازي** يقول في كتبه المؤلفة في **الصنعة** قال : استاذنا أبو موسى جابر بن حيان ــ ولقد قال فيه الاستاذ برتيلو المؤلف الفرنسي صاحب كتاب « **تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى** » : ان اسمه ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق ، واضافة على ذلك مصادقته وصلته بجعفر الصادق ولعل في ذلك صلة الاختصاص

---

(30) الفهرست : ابن النديم .

الرازي : هو أبو بكر محمد بن زكريا ، ولد سنة 866 م وتوفي سنة 924 م ، وسمي بالرازي نسبة الى مسقط رأسه مدينة الري ببلاد فارس ، ولما بلغ الاربعين من العمر كان أشهر أطباء عصره ، وقد تولى ادارة مستشفى الري ، ثم مستشفى بغداد ، كما وضع الرازي كتبا في الطب والكيمياء واشهرها كتاب **الحاوي** ، وكان مرجعا للاطباء . ونقل الى اللاتينية كتاب **الحصبى والجدري** كما يعتبر **سر الاسرار** اشهر كتبه في الكيمياء .

ما دام الامام الصادق(31) لهاهتمام بصناعة الكيمياء ـ وكما أكرر أيضا مرة أخرى الرأى : بأن رجلا فاضلا يجلس ويتعب فيصنف كتابا يتعب قريحته وفكره باخراجه ويتعب جسمه ويده بنسخه ثم ينحله الى غيره... وأية فائدة فى هذا وأية عائدة والرجل له حقيقته وأمره أظهر وتصنيفاته أعظم وأكثر ، حيث صدق عندما حذر قارئه فى مواضع كثيرة من رسائله الا يهتم احد بدراسته الا اذا جمع مؤلفاته كلها حتى لنراه يتهكم أحيانا على من يكتفى ببعض من كتبه ليستخلص منها مذهبه كاملا ، فالجزء كما يقول : « **لا يسوغ الحكم على الكل** » .

د. عبد الرحمان محمد التليلي

من مؤلفات المفكر الأستاذ :

محمد مزالي

★ الديمقراطية

★ مواقف

★ دراسات

★ من وحي الفكر

★ في دروب الفكر

---

(31) وله أى جعفر الصادق كلام فى صناعة الكيمياء وكان تلميذه أبو موسى جابر ابن حيان الصوفى الطوسوسى ، وقد صنف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهى خمسمائة رسالة « الشذرات الذهبية » عن مجلة المجمع العلمى ، سنة 1960 .

أنتِ الوطن

شعر: أحمد فضل شبلول
(الاسكندرية)

أريدُ البقاءَ لديكِ
فعِندِي كلامٌ إليكِ
وعندِي بِحارٌ منَ الشوقِ ،
عِندِي أغانٍ لعينيكِ
عِندِي حريرٌ مِنَ الهِندِ عندي
مِنَ الشام هذا العِنبْ
ومِنْ مصر هذا الطربْ
وعِندِي خلاصةُ فكرِ العربْ
وبَعض المشاكل ، بعض التعب
وعندي دموع غزارٌ بغيْر سبَب

* * *

أريدُ البقاء لديكِ
أنامُ على ساعِديكِ
وأصحُو كطفل يحبّ الحياه
كبحرِ هدُوءٍ هنا مُنْتهاهْ
كنهر حنِين أنا ضفتاه
أريدُ البقاءَ لديكِ
لألهُو قليلا على راحتيْكِ
وأبْحرُ فوقَ خُطوط السّفر
وآتي اليك ببيت من الضوءِ
أغفو على ساعِديكِ
وأنتِ تعِدّينَ وجبةَ هذا العشاءْ
فطِيرةَ شوق ، وشربةَ ماءْ
أريدُ البقاءْ
فعِندِي بِحارٌ وأنتِ السماءْ
وعِنْدِي فضاءٌ لكل غناء
وعندي نهارُ وكلي رجاء
أريدُ البقاء

فـردي علينا السـلام
إذا ما دخلتُ أنا وملاك الوئام
أعدي أباريق شايٍ وقهوة
فأنتِ منابع هـذا الهوى
وأنتِ نهاية هـذا المدى
وأنتِ بدايةُ كوني
وأنكِ أنـي
لشعري وفني
وصوتي ولحني
فعدي ضياء القمر
سهر
سهر
فإني أريدُ البقاءَ لديكِ
فربَّ كلام يفتِّحُ زهرَه
وربَّ حديث يعيدُ إلينا استقامةَ
هـذا الزمن
ويبعدُ عنا حكايا الوهـن
ورب سؤال يصيرُ السكن
فهيا ملاكي
أعدي الحياه
ففي ضوء عينيكِ أنت .. الوطن .

أحمد فضل شبلول
(الاسكندرية)

ملف الكتابة السينمائية

الوجه الآخر للقمر

بقلم : محمد المنار رجبات

– 4 – (*)

40 • * يقضى فائز وطره ويعود بصحبة صالحة الى روما بعد أن يضع معها خطة الاختفاء فى روما ، ثم السفر منها الى باريس للالتقاء بالفريق السينمائى الذى ينهى التقاط بعض مناظر الفيلم ••

فى محطة القطار يتجه فائز الى كشك تلفونى وتقف صالحة بانتظاره منشغلة بالتفرج على بعض المعروضات باحدى الدكاكين •

يقبل عمر صدفة باحثا – مع صاحبه الايطالى عن صالحة – فيراها بدون ان تفطن به ، فيسرع اليها مع صاحبه ويحملانها على مرافقتهما ويزجان بها فى سيارتهما . ويعيدانها الى الفندق . /

41 • * ييأس فائز من العثور على صالحة التى يدعوها باسم فنى «كريمة» فى أرجاء محطة القطار فيتخلى عن خطته ، ويتجه الى المطار عائدا الى باريس •

يعود عمر مع زوجته فى الفترة التى يتوافد فيها الحجيج ، ويختلط معهم متظاهرا بالعودة صحبة زوجته من الاراضى المقدسة ، ويستقبلهما أهل الحومة مهنئين •

ويجد «خميس» – الذى عهد له عمر برئاسة العصابة فى غيابه – فى انتظاره مع المستقبلين ، ويخبره سرا بأن الشرطة ختمت دكانه بالشمع الاحمر وهى تواصل البحث عنه ، فيقرر التظاهر بالمرض بداء «الفالج» ويلازم الدار يعاقر

(*) تابع لما نشر فى « الفكر » ع : 9 – س : 28 – جوان 1983 .

الخمرة فى الخفاء ، ويشارك فى مجالس الوعظ التى يحمل زوجته على تصدرها ويدعو اليها الاتباع والمريدين من أهل الحومة مشيدا بمناقب زوجته فى الحج وكراماتها ٠ /

42٠ * يوقع عمر «حمادى» الذى ورث الدار والحمام من أبيه فى شباك تحيلاته ، فيوافق على هدم الحمام الذى أصدرت البلدية اذنا بغلقه نتيجة ما أشيع عنه فى الحومة ، وبناء مقام على انقاضه به مسجد صغير للصلاة ٠ بعد ابرام قرار بالتنازل عن ملكية الحمام للحاجة صالحة وابرام عقد ببيع الدار للشيخ الكرغلى ٠٠

يطلب عمر من زوجته أن توعز لدليلة كى تطلب من حمادى اعداد تاليف عن مناقبها ، فيغتر بمظاهر التقى الزائفة ، ويضع عن الحاجة كتابا يطبعه على نفقته فى المطبعة العتيقة التى امتلكها .

تستاء صالحة من التحيل على حمادى ، وتنتهز غفلة من زوجها ، وتستدرج حمادى الى مخدعها لتكشف له عن حقيقتها وحقيقة زوجها الذى أقام فى المخدع «بارا» فيصدم ويرتج ذهنه ويختبل ٠ /

43٠ * تندلع الثورة المسلحة على المستعمر ، فتنشاغل الشرطة عن مطاردة عمر ٠ ويوعز الى صالحة بالتظاهر بالموت ، ويدفنها فى ضريح يشيده فى المقام ٠٠ ويخرجها منه خفية فى موهن الليل ٠ ويوعز اليها بعد أيام بالخروج للتأكد من تخلى الشرطة عن مراقبة دكانه ٠ فتذعن له ، وحين تؤوب يراها عتيق فيتعقبها ، وتدخل الدار ، فيطرق الباب فيستقبله عمر متخفيا فى شخصية الشيخ الكرغلى بعد أن يخفى صالحة ، ويضلله بحكاية زائفة عن زوجته ، زاعما أنها توفيت ؛ ويخرج عتيق ذاهلا يهيم فى الازقة ، ويتذكر البرنس الذى نسيه فى دار الشيخ الكرغلى ، فيعود الى أخذه ، ويكون عمر قد تفطن الى البرنس والى احتمال عودة عتيق للبحث عنه ، فيسد باب الدار بالآجر ، ويكلف خميس بالتنكر فى هيئة شيخ وقور ملازم للمقام فى خدمة ضريح الحاجة صالحة ، ويلقى بالبرنس فى مدخل المقام ٠٠

تتضاعف دهشة عتيق حين لا يعثر على الدار ويقر فى ذهنه أنها تحولت الى مقام ٠ ويذهل حين يجد برنسه ، وحين يخبره الشيخ خادم المقام بأن الشيخ الكرغلى هاجر منذ زمان الى بلده . ويقر فى اعتقاده أن ما وقع هو من خوارق

الغيب فيقلع عن مطاردة نجاة ، ويركن الى حانة القطة ، ويتعرف على نديم ، ويصادقه وينادمه ، وحين ينتحر صاحبه ، يهجر الحانة ويبتعد عن مسرح الاحداث ٠ /

44٠ * يسأم عمر من الاختفاء وتمثيل دور الشيخ الكرغلي ، فيقدم فى آخر دور يمثله على بيع الدار والمقام المسجل باسم زوجته الى نفسه باسمه الحقيقى عمر سديرة مضللا «العدول والشهود» ، ويشيع بين أهل الحومة اعتزامه العودة الى تركيا ، ويودعه الناس ويتظاهر بالسفر ٠

بعد أيام يظهر عمر بشخصيته الحقيقية ، وقد أيقن بأن الشرطة لا تدين شخصا باسم عمر سديرة ٠٠ ويعتمد شهود زور فى اثبات هويته واستخراج أوراق رسمية بذلك ٠

يؤجر عمر دارا بالقرب من الدار التى يسكنها المعتوه حمادى ، ويسكنها مع صالحة ودليلة ، ويحتال على حمادى حين يلازم فى ذهول مراقبة صالحة ، ويحمله على ابرام صفقة ببيع حانة القطة ، وتفزع صالحة الى زوجة حمادى ، وتخبرها باحتيال عمر على زوجها ، وتوصيها بحمايته ٠ /

45٠ * فى الطريق يستوقف المخرج فائز صالحة ليسترشدها عن محطة القطار التى تقل الى سيدى بوسعيد ٠ وتتعرف عليه صالحة فتتذكره بنفسها ، فيبتهج بلقائها ويأخذها معه ، ويعرض عليها الاشتراك فى تمثيل فيلم سينجز تصوير جزء من مناظره فى احدى واحات الجنوب ٠

خلال ارتباط صالحة بالعمل السينمائى مع فائز تلتقى بغياث فى مقهى «المرابط» ثم تزوره فى شقته وتكلفه بكتابة السيناريو عن قصة نشأتها ، وتعود اليوم لزيارته لتسأله ان كان قد أنجزه ، اذ أنها أخبرت فائز بالموضوع فوافق على انتاجه لحساب شركته ٠]

◆◆◆◆ تدوى طلقات نارية ، فيجفل غياث وترتعب كريمة ٠

يخرج غياث للتحرى من الامر ، فيجد فى مدرج العمارة عمر مقتولا ، ويظهر حارس العمارة مشدوها يردد ما رآه من مطاردة «خميس» لعمر ٠٠

ويقبل رجال الشرطة وقد ألقوا القبض على خميس، فيعاينوا مسرح الحادثة.

وتقبل عربة الاسعاف لتقل عمر ..

ويأخذ رجال الشرطة معهم حارس العمارة وبعض الشهود ، بعد التقاط عدة صور ورسم المكان الذى سقط فيه عمر صريعا ..

يعود غياث ليطلع كريمة على ما وقع فتريثى لعمر ، وتحمد الله على نجاتها منه ، اذ كان قد تعقبها ليعيدها الى داره وسطوته ، وقد قيض اللـه خميس ليصرعه انتقاما لحرمانه من عوائد الاحتيال التى كسبها عمر ..

تسعد كريمة بزوال عمر . ويبتهج غياث باعتزامها تحقيق أمله فى كتابة سيناريو عن حياتها الطافحة بغسرات الشر .. ويقترح عليها ادخال التنقيح على الجزء الاخير من السيناريو على ضوء ما جد من احداث فتوافق .. وتطلب اليه بعد أن ينجز ذلك السفر معها الى عين دراهم لتقدمه الى فائز .. وأمـام باب العمارة يلتقيان بالهادى الذى قصد تونس حسب الاتفاق مع غياث ليبحث له عن شغل فيسعدان بلقائه وتعرض عليه كريمة الانضمام من جديد الى المؤسسة السينمائية التى يديرها فائز للاشتغال فى المسلسل التلفزى الذى كتبه غياث عنها ، فيرحب بذلك ، ويصاحبهما .

فى الطريق يتذكر غياث والسيارة تنهب بهما الارض نحو عين دراهم أن اجازته انتهت ، وأن عليه أن يعود من الغد الى عمله فى الادارة ، وحين يطلع كريمة على ذلك تضحك من اهماله ـ كالعادة ـ حتى لعمله وواجباته ، وتنصحه بالاستقالة من الوظيفة ، والاشتغال بالكتابة للسينما والتلفزة .

محمـد المختـار جنـات

(انتهـى)

يفاع الأسئلة

شعر: عبد الرؤوف بو فتح

هادئةُ ..
تسألُ عني الصحبَ ،
وتجنحُ للكأس ،
تضمهُ للشفقةِ المُرتعشه ..
تسألُني
هادئةٌ مُنْفعِلَه ..
تفدُ الآنَ طيورُ الليل كسالى ..
عبّأها الليلُ هُياماً ،
فاتخذت من سُنْبُلةِ البوحِ.. وسادْ
حيثُ أنامُ أنا ..
طول عذابي ..
وأكادْ .
واتفقَ الوقتُ ،
على أن أركب صهوة مدن لا ترتاح ،
مدن تدري أن طريقي متسعه ،
وملاذي مُحتملٌ ..
فتسدُّ نوافذَها ..
بأنوثتِها

حينَ أُصابُ بغائلةِ الشهوات ..
واتفقَ الوقتُ ،
على أن ألقيَ (كلي)
في مجمرة امرأةٍ تربض مثلي
فوق يفاعْ ..
إذ كيفَ يجوزُ لها
أن تسألني عن لهبٍ يزداد
مداه
عن سوسنةٍ لا لونَ لها
لا عطر يُخلخلُها
عن سوسنةٍ كنتُ أنا.
تسألني ،
من كنتُ أراقصُها
راقصةُ الملهى
عن هذا الوجهِ الحائر ..
والعمر المجبول على الأوجاع ..
في مجمرة امرأةٍ ،
تربُض مثلي فوقَ يفاعْ ...

قراءة سريعة* في شعر الأمريكيين العرب

بقلم : أسامه رمضاني

تصادف السنة الحالية الذكرى المائوية لميلاد الاديب اللبنانى جبران خليل جبران الذى كان ولا يزال اشهر أديب عربى على الساحة الامريكية نظرا للدور الطلائعى الذى لعبه فى ازدهار الحركة الادبية العربية فى كل من بوسطن ونيويورك فى أوائل هذا القرن . ولا يزال لحد اليوم مؤلف جبران « النبي » يحتل مكانة مرموقة فى معظم المكتبات الامريكية بل هو يوزع فى شكل اسطوانات على غرار أهم الروائع الادبية العالمية .

وعلى الرغم من التطورات العديدة التى مرت بها الجالية العربية بعد أختفاء جبران ونعيمه ونسيب عريضه وغيرهم من الساحة الادبية الامريكية فان الاجيال الجديدة من الامريكيين المنحدرين من أصل عربى استطاعت الحفاظ على طابع أدبى متميز ينجلى بالخصوص فى النتاج الشعرى لعدد من المبدعين من امثال : صامويل حازو وجوزيف عواد وغريغورى أورفيلا وغيرهم .

الملاحظة الاولى الجديرة بالذكر هى ان الاغلبية الساحقة من هذا الانتاج وردت باللغة الانجليزية وذلك خلافا لما هو الحال فى كثير من الاحوال بالنسبة للجاليات العربية المستقرة فى أمريكا اللاتينية حيث لا يزال للغة العربية عند احفاد المهاجرين الاوائل دور هام ، ولكن تلك قضية أخرى ...

اما الملاحظة الثانية فهى ندرة الاهتمام بالنتاجات الشعرية الصادرة عن الامريكيين العرب ويعزى ذلك الى اسباب مختلفة من بينها « عودة الوعي »

(*) كاتب المقال صحافى وباحث جامعى تونسى مقيم حاليا فى العاصمة الامريكية واشنطن .

المتاخرة لدى الاجيال الاخيرة من الامريكيين المنحدرين من اصل عربي فقبل نكسة جوان من سنة 1967 وما تمخض عنها من معاناة وشعور بالحيف عظيمين لم يكن لدى احفاد المهاجرين العرب الاوائل احساس قوي بانتمائهم التاريخي الى الحضارة العربية مما نتج عنه في كثير من الاحيان انصهار كامل في بوتقة المجتمع الامريكي . ومن ناحية أخرى فان رغبة المهاجرين العرب انفسهم في فرض وجودهم داخل مجتمع تسيره دوافع الربح والمنافسة جعلت هؤلاء يوجهون كل اهتمامهم الى النشاطات الاقتصادية دون غيرها . في هذا الصدد يقول غريغوري اورفيلا في تقديمه لمجموعة شعرية نشرها سنة 1981 (*) :

« يمكن للمرء ان يطالع مجموعات شعرية لكل الاقليات العرقيات الامريكية، الزنجية منها أو الاسبانية أو اليهودية أو الهندية أو الصينية أو اليابانية وغيرها ، ولكن لحد الآن لا توجد مجموعة شعرية واحدة تضم نتاج الشعراء الامريكيين العرب المعاصرين » . في هذا الاطار يبدو من الطبيعي عندئذ عدم وجود أية « رابطة قلمية » أو مدرسة أدبية أخرى توحد صفوف « أدباء المهجر » الجدد في الربع الاخير من القرن العشرين .

إن كانت الاغراض التي تحدث فيها الشعراء الامريكيون العرب المعاصرون كثيرة ومتعددة فان هناك عددا من الهواجس المشتركة تلتقي فيها قرائحهم . من بين هذه الهواجس المشتركة بلا شك الشعور الدافق بالحنين الى الوطن الأم وهو شعور مشحون في معظم الاحيان بالتحرق على فراق الاهل والاحباب.

تقول إلماز أبي نادر ، وهي مدرسة جامعية متحررة من أصل لبناني ، في قصيدة لها بعنوان : « رسائل من الوطن الى أبي » :

كل مرة تجهش بالبكاء	رسالة من الوطن العريق
أحس سطح أحد الانهر ينفجر ..	أرقب تموج الحروف عبر الصفحات
تمسك أنت بخديك	المجردة
وتقرأ بصوت عال	جالسة على الارض

(*) Gregory Orvalea. *Wrapping the Grapeleaves*. Washington, D. C. : A. D. C. 1981 , (INTRODUCTION)

بينما اخوتك حولك ملتفون	**ولكنى أحس شعورا باللوعة واحدا**
فلا أفهم لغة الرسالة	**يملأ أرجاء الغرفة (*)**

غير ان الانصهار بين حب العائلة وحب الوطن الاصلى يبلغ أوجه فى العديد من قصائد سام حمود الذى يتولى حاليا فى العاصمة الامريكية اصدار صحيفة « أخبار العالم الثالث » (THIRD WORLD NEWS) .

يقول حمود المصطبغ شعره أكثر من أى شاعر أمريكى عربى آخر بروح اسلامية عميقة فى رثاء أبيه الذى كان من أول الائمة فى ولاية إنديانا :

ما زال أبي يحرس المسجد	......
وفى صمت يصلي	**أبي راحل الى الشرق**
جالسا على العتبة ينظر	**الى لبنان**
متحسسا صدره والرصاصة	**حيث يتناول طبقا من « الكبي »**
التى اخترقت صلاته	**وتقدم له أمي عنبا وظلا (*)**

اما عند بن بنانى الذى قضى فترة من حياته فى المغرب الاقصى فان الحنين الى الوطن حنين الى طبيعة بعشقها وطفولة بريئة يرنو اليها :

يقول بن بنانى :

أين أنت يا طنجه ؟	**وبريقها الحريرى ؟**
أين شمسك الصفراء الفاقعة وبحرك	**أين الساحة العارية**
المضطرب ؟	**المتوسطة دارنا الواسعة**
أين أبي ؟	**حيث الورود فى أركانها تتفتق ؟**
أين عيناه	**أين أنت يا طفولتى**

(*) هذا المقطع منتخب من قصيدة لالماز أبي نادر (Elmaz Abinader) بعنوان « رسائل من الوطن الى أبي (Lettres from home to my father) وقد تولى صاحب المقال (مثلما هو الحال فى بقية المقاطع الشعرية الاخرى) الترجمة من الانجليزية الى العربية .

(*) هذا المقطع مقتبس من قصيدة لسام حمود(H. Sam Hamod) بعنوان : « أبيات الى أبي » (Lines to my Father).

عندما كنت أجر القطط من أذنابها
عبر وسط الدار ؟
أنا وحيد الآن
وآلامي كالطيور
الباحثة لها عن أعشاش .. (*)

قد يتساءل المرء عن مبررات مثل هذا الشعور الحاد بالغربة رغم نجاح المهاجرين العرب عامة في تبوؤ مراكز محترمة في السلم الاجتماعي الامريكي ولكنه من الواضح أن الشاعر الامريكي المنحدر من اصل عربي في حساسيته المفرطة بالوحشة ، في مجتمع وظف الانسان والالة على حد السواء لفائدة الجدوى الاقتصادية مؤهل أكثر من غيره من الشعراء الامريكيين للاحساس بانهيار القيم التقليدية في العلاقات البشرية . يعبر بن بناني عن مثل هذه المشاعر بشكل تصويري في قصيدته « رسائل الى أمي » عندما يقول :

أنا وحيد الآن
السجارة ضجرت من الدخان
الآلة الراقنة ضجرت أيضا
وآلامي كالطيور
تبحث لها عن أعشاش
نعم عرفت النساء في أمريكا :
مشاعر من الاسمنت
وجمال منحوت من الخشب

ومما يزيد في احساس الشاعر المنحدر من اصل عربي بالاغتراب حنينه الدائم الى مجتمعه السابق الاكثر دفءا. في تألم يشوبه الندم يقول صامويل حازو المنحدر من اصل عراقي ولبناني :

تركت عالما أقدم من أن يسمى
وأحيانا من أن يهجر
قاطعا بحرا واسعا باردا
نحو غلطة كولمبس
حيث الحياة ليست هي نفسها (*)

رغم كل هذه العوامل فان أهم عنصر خلق عند الشاعر الامريكي العربي شعورا بالاستلاب داخل مجتمعه هو الشعور بالضيم للمواقف الامريكية الخاطئة من القضايا العربية . وتتجاوز هذه المسألة كافة الابعاد النظرية والايديلوجية لتصبح عند الامريكي العربي واقعا يوميا معاشا يخزه كل لحظة :

(*) هذا المقطع منتخب من قصيدة لبن بناني (Ben Bennani) تحت عنوان : « رسائل الى أمي » (Lettres to my mother) .

(*) هذا المقطع من قصيدة لصامويل حازو (Samuel Hazo) بعنوان : « الى فوزي بالقدس » (For Fawzi in Jerusalem)

يقول المغنى الامريكى العربى دين أحمد فى « أنشودة دير ياسين » :

أصعب الاشياء احتمالا
هو أن تسمع فى أخبار المساء
أكاذيب يغالط بها الصهاينة
الامريكيين اليهود
كي يساندوا الدولة الصهيونية ..
لو كنت أستطيع
لعانقتهم وحدثتهم
عن الأبارتيد والكره
عن الارهاب والتعذيب ... (*)

من الاكيد أن دين أحمد يعبر فى مباشريته عن المشاعر المكبوتة لاكثر من مليونى أمريكى عربى تعمق احساسهم بالانحياز الى الجانب العربى من الصراع مع الصهيونية منذ حرب أكتوبر 1973 . ومن الطبيعى عندئذ أن يكون النزاع العربى الاسرائيلى مركز اهتمام مشترك عند معظم الشعراء الامريكيين العرب.

ومن أجمل ما كتب هؤلاء فى هذا الخصوص جاء على قلم غريغورى اورفيلا الشاعر والصحافى الامريكى المنحدر من أصل سورى ولبنانى . يقول أورفيلا فى قصيدته « القنبلة التى سقطت على حقل العم عبدو » والتى ترجمت بعد الى العبرية والفنلندية واصفا غارة جوية اسرائيلية على احدى ضواحى دمشق :

فى حقل عمي المجاور
المسقي منذ أمد قصير
سقطت قنبلة
كتم الوحل أنفاسها
وتحدث اليها
ثم كمثل أم
غطاها فى موتها
بقت القنبلة
بقيت القنبلة
حروف أمريكية
صامتة لم تنفجر ...
إسق جنائنك دوما .. إسقها (*)

أسـامة رمضـاني

(*) هذا المقطع منتخب من أغنية لديـن أحمـد (Dean Ahmed) بعنـوان : « أنشودة دير ياسين (Ballad of deir Yassin) أداها ابان انعقـاد مؤتمر الحزب التحررى الامريكى فى بوسطن سنة 1978 .

(*) هذا المقطع مقتطف من قصيدة لغريغورى اورفيلا (Gregory Orfalea) بعنوان : « القنبلة التى سقطت على حقل العم عبدو »
(The Bomb That Fell on Abdou's Farm)

قصيدة كركاتية

خروج للتسيم

شعر: محمد الأغنج

قضينَا اليومَ في جزر ومدٍّ   مسالك لمْ تكنْ أبدا تؤدي
بها الأوحالُ لاحتْ في الثنايا   تهدد منْ يمر بغير قصد
وكم كنت الدليل لدى نزولي   لنقطع مجهلا خلناهُ يَهدي !
نكادُ نَمرّ منْهُ فَلا نُلاقِي   سوى صعب يؤول الى التّحدّي
فحرنا والوجوم بدا علينا   وأصبحنا الأسارى دون قيد
وتلسعنا الرياحُ بكلّ عنف   فيا وَيْلاهُ مِنْ لسعَات برد !
وما نِلْنَا الوصول لمبتغانا   إلى مَنْ بَاتَ في أخذ ورد

* * *

وعجنا بالمنازل حيث لاحت   لنسأل ثَمَّ عن درب يعدي
فما أغنى فتيلا أي بحث   وما كان السؤال لنا بمُجد
ولذنا بالمسارب بعد لأيٍ   ولاقينا صعَابا دون حدّ
بمنعرج خطير كادَ يُودي   « بكتكاط » تلاقي كلّ صدّ
وما لاقتهُ منْ ويلات صخر   وحَفر بالمسالك مستجدّ

* * *

إذَا غاصتْ برملٍ وهي تدوي   سمعتَ بلا ارتياب صوت رعدِ
فآنا للمحرك صوت حُبلى   تَصيح من الوجيعة وهي تبدي
مخاضا نالها الإعياءُ منهُ   فيقطعُ بالسكوت المستبدّ
وآونة ترَاهَا وهي تعوي   عواء الذئب في الليل الأشدّ
نشمر ثمّ ندفعها أماما   ونبذل بالتعاون كلّ جهد
وتنطلقُ الحرارة في دمَانا   اذا انطلقَ المُحرك بعد كدّ
فنركبُ ثمّ نرجعُ في استياء   نمني أنفسًا بقريب عَوْدِ ...

قصائد من « جويس منصور »

تقديم وتعريب : محمود منقذ الهاشمي

ولدت جويس منصور فى انكلترا من أسرة مصرية سنة 1928 ، وهى من أشهر رفاق الحركة السريالية فيما بعد الحرب . جمع معظم شعرها فى « الخابسات » Rapaces (1960 و Seghers) ، أما نثرها فينتمى الى عالم خيالها المميز نفسه ، والذى يتجلى فى كتبها (الضاجعون الراضون ، 1958 ، الادانة ، 1966 ، هنا ، 1970) — وقد وصفه غراهام مارتن بأن « للكابوس فيه خطوطا من الوحشية السنورية يصادفها الهزل الاسود » .

— المترجم —

من دون عنوان

أنت لا تعرف وجهى الليلى
عيني كالخيول جنت بالفراغ
فمي الملطخ بالدم العجيب
جلدى
معالم أصابعى المزدانة بخرز المتعة
إنها سوف تقود أهدابك الى
أذنى وعظام أكتافك
الى الاقليم المنفتح من بدنى
وستبرم أضلاعى فى الفكر عقدا
أن بميسور صوتك أن يصب فى
حنجرتى
وأن بوسع عينيك أن تبتسما
أنت لا تعرف بياض كتفى
فى الليل
حين ياخذ اللهب الذى ينوم الكابوس
يصيح للصمت
ويعانق الواقع جدرانه الناعمة
أنت لا تعرف أن عطور نهارى تموت
على لسانى
حين يقبل الاشرار بسكاكينهم
المتدفقة
وأن حبى المتغطرس يهجرنى
حين أقبع فى طين الظلمة

من دون عنوان

يداك اللتان تقرتا نهدي المنفرجين
تعقدان عقدا شقراء
تقرصان حلمتى
تحكان اوردتى

تختران دمي
كان لسانك مثقلا بالبغض في فمي
وبالمتعة خدشت يدك وجنتي
وبالشتيمة انقضت أسنانك على ظهري
فانثال مخ عظامي على ساقي
وهدرت السيارة على الطريق الساخر
مصطدمة باسرتي وهي ذاهبة

عيون الاصدقاء

بحثت عن قلبك تحت كومة النفاية
فنفذت الي رائحة عجيبة ، شعراء ونبوية
لم تطفيء سجارها الرمادي
ونضج الطعام القديم من جديد ومر بأسفل أنفي
لسينات اعشاب ولاما ورياشا وليلكا
ومجسات تضغط بشدة أقوى من المرض
وما لا يؤكل من ذكريات محفورة عن العراة
ذوي الاوراك المدورة
إن أراضي الماضي قد انقرضت بالجنون
والآخرين المتمسكين بالاعراف قد انضفروا بدقيق الارز
وعانقوا أثاثهم بابهة وطقوس مزركشة
فتشت عن قلبك تحت كومة الورق المزيت
ولكن شدا حبك قد اطفأ سجارته فوق السجادة
وكنت متروكة لرماد المراوغة الماكرة

من دون عنوان

دعني أحبك
إنني أحب طعم دمك الثخين
أتذوقه بفمي العاري من الاسنان
تسفع حرارته حنجرتي
أحب عرقك
أحب أن أمسد إبطيك
يتقطران بهجة
دعني أحبك
دعني الحس عينيك المغمضتين
أثقبهما بلساني المسنن
وأتقرى ثقوبهما بلعابي
دعني أفقد النظر

من دون عنوان

رائحة تجلد الفوبشري

والبهائم المتعطشة الى الدماء
خلف حواجز المحكمة
رائحة الخف
رائحة الخوف
رائحة النفايات فوق القبور
رائحة المعوزين
حديقة حيوان الشرطى
وحشية الاطفال
والرائحة المركبة ، الحرية
مزيج من النشادر
ودبس السكر
وعرق الجسم

طعم من الحصباء
يداي فى المحرك
وفخذاى فى الزورق
والكابح عند ركبتى
ولحمك بازاء جلدى
طائر على المروحة
رجل تحت العجلة
يداك فى المحرك
تلعبان بالمسمار
ومن المحرك صرخة
شرطى ودفتره
طريق فى مرآة القيادة
ريح بين ركبتي
مارد لا رأس له يقود السيارة
يداي على العجلة
وكلي توسل

ت. ت : محمود منقذ الهاشمى

الساعة الخامسة والعشرون

بقلم : رمزي الحاج عقراوي
(العــراق)

يقول الاستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بصـدد الحـديث عن رواية ـ الساعة الخامسة والعشرون ـ : (إن الحديث عن كتـاب ظهـر منذ سنوات ، يبدو ولا شك كالقيام بعمل فات أوانه ولكنى مع ذلك اجدنى مندفعا بحماس الى ان اعرف القراء على رواية : الساعة الخامسة والعشرون التى مضى أوان الحديث عنها من الوجهة الادبية التقليدية أو الدعاية المادية ...

ذلك لان المسرح الذى مثلت عليه هذه الرواية لا يزال قائما بجميع اجوائه ومناظره ، والابطال الذين نسجوها لا يزالون على خشبة المسـرح يكـررون الرواية من أولها كلما انتهوا الى آخرها ، ان المسرح يبدأ من أدنـى الشـرق الشيوعى الى اقصاه ، ومن أدنى الغرب الآلى الى اقصاه . انـه ذلك (العـالم المتمدن الآلى) على حد تعبير المؤلف ، اما ابطال الرواية ، فهم كما قال المؤلف: (إن اشخاص روايتى سيكونون من الرجال الذين يعيشون على سطح الكـرة الارضية ! ولما كان (هومير) نفسه يعجز عن كتابة قصة ابطالها مليارات من الاشخاص فاننى سأمثلهم فى عدد قليل لا يتجـاوز العشـرة . ان هـؤلاء العشرة سيحيون الحوادث نفسها التى يحياها الآخرون .

إن مثل هذه الرواية فى اعتقادى تهم الانسانية اهتماما كبيرا لانها قصتها.

ومن المؤسف جدا ان بني الانسان اليوم بحاجة الى ان يقرأوا قصة حياتهم فى كتاب ، أذ انهم فى ذهول تام عنها !... إن مثل هذه الرواية لا تقدم بفوات سنوات على كتابتها ، لانها متجددة فى حياة هذا الانسان ... انسان ما بعد الحرب العالمية وقبلها .

غير ان هذا لا يعنى انى سأقدم عصارة تامة عن هذه الرواية الهـامة فى سطور هذا المقال ، اذ الواقع اننى لم اصل بعد من القدرة الكتابية الى ان اطوى

حديث ثمانية وستين وخمسمائة صفحة في كلام عدة صفحات . غير انني سأسمعك اجراس الخطر التي تدقها رواية (الساعة الخامسة والعشرون) على سمع العالم كله ... انها الاخطار التي بدأ العالم الآلي يستيقظ مذعورا منها ، على حين يحلم عندنا السطحيون البسطاء فيها بالنعيم المقيم والسعادة الوارفة.

ومن حسن الحظ ان هذه الرواية لا يمكن ـ كما يقول مترجمها الافرنسي ـ ان تستغل من قبل حزب بعينه أو دولة بعينها ، لانها تمد اصبع الاتهام الى مجموعة (العالم المتمدن الآلي) بالجريمة . وهذا في الحقيقة اثمن ما في الكتاب (1) .

مقدمة المترجم :

يقول الاستاذ (فايز كم نقش) مترجم هذه الرواية الى اللغة العربية ...

(إن كتاب ـ الساعة الخامسة والعشرون ـ الذي نقدمه الآن لقارئنا في طبعته الثالثة ، يعالج اخطر تحول قيمي في تاريخ البشرية ، تحول الانسان من المجتمع اليدوي الى المجتمع التقني ودور صانع الآلة في عبوديته لما ابدع وصنع . انه الصراع بين القيمة والمادة ومفهوم الحضارة والانسانية بينهما من زاوية جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة وصحيحة الى اقصى حدود الصحة ، انه صراع بين الانسانية والبربرية ، فهو اذن كتاب لا بد وان يقرأ ، وهو كتاب لا بد وأن يقتنى !

يستطرد المترجم بالحديث قائلا .. هذا الكتاب الذي نفذت طبعتاه الاولى والثانية ، أحدث ضجة في أوربا كلها لم يحدثها كتاب مماثل من قبل ، وترجم الى أكثر اللغات الحية . فأعيد طبعه في فرنسا وحدها أكثر من خمسين مرة ، كانت الاولى عام 1949 والاخيرة في الربع الثالث من العام 1965 .

ولقد حظي هذا الكتاب في شرقنا العربي بتقريظ واف فقال بعضهم فيه : (إنه أفضل كتاب صدر بعد جمهورية افلاطون !) وقال آخرون : (لم يسبق لكاتب ان نجح في هز مشاعر جماهير العالم كله وأحاسيسهم نجاح مؤلف هذا الكتاب) .

---

(1) من الفكر والقلب / تأليف الاستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي / مكتبة الفارابي ـ الطبعة الاولى 1969 .

ولعل السبب الاوفى فى نجاح هذا الكتاب على هذا النحو الفريد راجع الى أن المؤلف الذى يمتاز بعبارته السلسلة الواضحة والقصيرة ، قد عانى شخصيا جانبا كبيرا من الآلام والمحن التى سردها بكثير من الدقة والتوفيق فى فصول كتابه الشيق .

فالمؤلف رومانى الاصل ، مثقف متعمق فى علم النفس واللاهوت ، محيط بنفسية شعبه وعاداته ونوازعه احاطة مستفيضة كاملة ، وهو الى جانب ذلك يملك قدرة ملحوظة على التعبير عن أفكاره تعبيرا مشرقا وافيا . وبفضل قدرته على الكتابة واحاطته بابعاد ما يكتب وادراكه قضايا شعبه والشعوب المحيطة به وافكارها ، استطاع ان يخرج للعالم سفرا فريدا نادرا، بل تجربة فذة فى ابراز أهم ميزات شعوب أوربا التى تشرد بينها خلال سنوات الحرب الثانية القاسية .

ولقد استغل المؤلف قدرته على استقراء نفسيات الناس الذين يقابلهم وبسطها بوضوح وكمال أفضل استغلال . فتسلل بتفوق الى اعماق شخصياته الاوربية المختلفة فى الدول الاوربية المختلفة ، ونزع عنها الستور التى تحجب حقيقتها عن انظار السواد الاعظم من جماهير القراء والمثقفين ، واظهرها على حقيقتها المجردة ، خالية من المسحات واللمسات المضللة ، فجاء كتابه هذا والكتب التى تلته آية الانتاج الامى .

والقارىء الذى يتابع احداث هذه القصة ، يجد نفسه متنقلا مع فصولها بين البيئات والمجتمعات المختلفة التى تنقل الكاتب بينها ، ويحس بأجواء تلك المجتمعات والبيئات احساسا حيا وكأنه عاش بنفسه فيها ، فلا عجب بعد ذلك اذا قررنا باعتداد وثقة ان مؤلف هذا الكتاب هو أفضل كاتب (كوسمو بوليتى) شهدته أوربا منذ موريس دوكوبراو ، مع الفارق الكبير بين الكاتبين فى الاسلوب وفى القضايا التى عالجها كل منهما بأسلوبه الممتع المثير .

عن المؤلف :

مؤلف هذه الرواية هو السيد كونستانتان فيرجيل جيورجيو ـ ولد فى 15 ايلول عام 1916 فى رازبونى ـ نيامتز فى رومانيا ، درس الفلسفة واللاهوت فى جامعتى بوخارست وهيدلبرج ، وهو سكرتير سفارة سابق للعلاقات الثقافية فى وزارة الخارجية الرومانية ، كتب عددا من المؤلفات نال احدها (اثر فوق الثلج) الجائزة الملكية للشعر فى رومانيا عام 1940 .

جابرييل مارسيل يكتب :

وهنا آتى على نقل المقدمة المستفيضة القيمة التى كتبها ڤابرييل مارسيل مترجم هذا الكتاب الى اللغة الفرنسية ، لما لها من أهمية وشبه تلخيص لاسلوب المؤلف ولمضمون هذه الرواية التى لا مثيل لها من حيث كافة القيم الانسانية المختلفة والمدرجة بين طياتها وعلى صفحاتها المتعددة ، وعذرى فى ذلك حسبما أعتقد هو أننى لم استطع أن أقوم بتلخيص فصول هذه الرواية فى عدة صفحات . حيث يكتب مارسيل قائلا : هذه أول مرة ـ اذا لم أكن مخطئا ـ أقدم لكتاب يصدر عن مجموعة (النيران المتشابكة) بمقدمة ادبجها بنفسى . لكن (للساعة الخامسة والعشرون) فى الحقيقة شأنا متفردا بندرته.

انه أولا ، موضوع فريد على شكل ما ، نقدمه اليوم الى الجمهور الفرنسى لان مؤلفه لمس لاسباب جد بديهية استحالة نشر كتابه فى موطنه . ثم اننى ـ لاسباب سوف تنجلى بالنتيجة ـ اغتبط بالتفكير فى ان هذه الرواية البديعة ، هذه الرواية المخيفة ، ستظهر أول ما تظهر فى فرنسا وباللغة الفرنسية . اننى لا أشك فى ان ترجمات اخرى ستعقبها والا لكان فى ذلك مدعاة للاسى ، لكن هذا ليس كل شىء : لا أظن ان بالمستطاع ايجاد مؤلف أكثر تعبيرا وبيانا للوضع المريع الذى تجد الانسانية نفسها غارقة فيه اليوم، لقد قال أحد شخصيات هذه الرواية : (لم تعد الارض ملكا لبنى الانسان) . والاصح ان بنى الانسان كما يبدو ، نسوا ان يتصرفوا تصرف البشر . غير ان هذا القول ليس وافيا : ان الامر لا يرتكز على النسيان والتنكر لشرعة ، بقدر ما يرتكز على اعداد منكر كان ذلك النسيان نتيجة حتمية له .

أكاد أجزم ان جانب الاختلاق فى (الساعة الخامسة والعشرون) يكاد يكون مقفلا . لست أريد القول : إن كل ما فى هذا الكتاب انما هو ترجمة وقائع شخصية دقيقة فيه برغم أن المؤلف وزوجه عانيا شخصيا بعضا من أقسى المحن المدرجة فيه ، لكن ما عمله السيد جيورجيو ، كان مقتصرا على جمع عناصر هذه القصة المبعثرة ، التى هى فى جوهرها اصدق ما يمكن قراءته وبالتالى أقل نفعا بالنسبة الى متشيع لا يخرج عن كونه متشيعا فحسب ، ولا يمكن لهذا الكتاب ان يستغل من جانب واحد من الاحزاب القائمة حاليا ، وهذا اثمن ما يبدو لى فيه ، صحيح ان الوحشية الالمانية والوحشية السوفياتية مثارتان فيه فى صحائف ملتهبة ، فلا يستطيع احد الادعاء بان الموقف مشايع للنازية أو للبلشفية ، لكن النواة ليست هنا ، ان الشر

المبين هنا شر عام يتضح بازدياد ، ان الغرب اصيب به كما ابتلى به ذلك الغرب الاقصى الذى ما عاد ـ كما يبدو ـ يمكن ان يكون ارض الامل والسراب لاحد ، كما ظل طيلة القرن التاسع عشر وخلال السنوات الاولى من القرن الحالي ، ان هذا الشر هو استبدال المفاهيم المجردة (المجاز) بالحسيات ، ذلك الابدال الذى اذا لم يكن يرتكز على قاعدة الوضعية (التكنيك) ، فانه على الاقل يعتمد على التكنوكراسية التى ما زالت فى طور التناسق تأخذ فى النضوج تحت ابصارنا ، ان ذلك يجعلنى أتساءل عما اذا لم تكن (الوضعية) ، بسبب جنوحها الى اعتبار نفسها غاية وحلولها محل القيم التى يزعم بطلانها، وارثة المثالية الفلسفية ، التى اصبح اثرها الخارق المعبر على الزمن بعيدا عن النقد والجدل . اننا هنا بصدد بدعة تستدعى التبصر فيها فى حدود منهاجي ، ان كبار ممثلي المثالية من افلاطون الى كانت وحتى هيجل ، يعدون دون ريب بين مفاخر الانسانية ، وليس من شيء أكثر استبعادا من اعتبارهم ـ هم انفسهم ـ المسؤولون مباشرة عن النكبات الهائلة المعاصرة . ولكن يبدو ان كل شيء قد تم وكأنهم ادمجوا مرغمين ، ودون علم منهم ، فى خدمة قضية لم تكن قط قضيتهم ، قضية اذا تعمقنا فى بحث الامور وجدناها مضادة فى كل نقاطها للقضية التى كرسوا انفسهم لخدمتها ، ولا شيء فى هذا الصدد أكثر غرابة وتدليلا من مصير مذهب هيجل ـ هيجيليانسم ـ الذى انتهى الى وضع يتنافى اطلاقا مع نظرية ـ الاونيفر سالسيم ـ لهيجل وينكر بسفه شديد كل القيم التى مجدها ذاك ، ولا مجال هنا للتساؤل عن كيفية وقوع هذا التصرف المنكر البعيد عن التصور ، لانه يجب البحث عن ذلك بين عميق الخطوط الميتافيزيقية (علم النظريات) والتيولوجية (علم اللاهوت) . هناك مجال واسع للتفكير فى ان المثالية جنحت الى التمادى فى الاضرار منذ اللحظة التى فقدت فيها اتصالها مع الوحى العلوى ، اللحظة التى انفصلت فيها عن مذهب القديس يوحنا المتعلق (بالفعل) اللحظة التى اتجهت فيها نحو تأكيد الانسان للانسان وليس نحو انتقال نعمة ، الهية انحدرت للقاء الانسان عن طريق الانسان . ان اباطيل النظرية الماركسية لم تصبح ممكنة الا اعتبارا من اللحظة التى اصبحت تلك العبادة الدنسة مقبولة من عديد من الاشخاص ، ما زالوا عاجزين عن ادراك نتائجها الرهيبة . قلت الميتافيزيقية الماركسية ، والواقع ان الامر لا يتعلق مطلقا ببحوث عميقة تبصر بها ماركس نفسه فى دوائر محدودة جدا من دوائر الحياة الانسانية . وبالاسلوب الفنى فى حد ذاته وبالتالى الذى لا غنى عنه ، والذى كان ماركس أول من عرفه واستعمله ليبرز حقائق كانت أهميتها من قبل لا تكاد تخطر على بال .

استميح العذر لهذا الاستطراد الفلسفي . لكنني اطمئن القارىء الذى قد يزعجه هذا الاستطراد بانه لن يجد فى كتاب السيد جيورجيو ما يؤيد هذه النظريات مباشرة . ولكن يبدو لى ان كل شيء فى هذا الكتاب انما يؤيد أعمق تجربة تصميما واثارة . كما يؤيد تفكيرنا فى سلوك السبيل الذى أتينا على بيـانه .

ما كنت لأغفر لنفسى لو مسخت القصة الخارقة التى سيطالعها القارىء ، بايجازها وايضاح خطوطها مسبقا ، لذلك ساكتفى بايراد بعض المقاطع التى تبدو لى معبرة بصورة خاصة والتى تسمح لقارىء ان يكون فكرة عن أهمية القصة الاستثنائية .

المجتمـع الآلـي :

قطع الكاتب تريان كورروغا وزوجه نورا مئات من الكيلومترات مشيا على الاقدام ابان الهزيمة الالمانية عام 1945 ، رغم انهما كانا دائما من انصار قضية الحلفاء ، وان نورا كانت يهودية أفلتت فى آخر لحظة من الاضطهاد ، ليلتحقا بالمنطقة الامريكية التى كانت تبدو لهما ملاذا أمينا . هاهما فى مدينة ويمار ، لكن روح ـ جيته ـ لم تكن هى التى تتقد فى نفس الحـاكم الامـريكى لتلك المدينة ، فما كانت شخصية تريان وزوجه وتفكيرهما ليدخلا فى حسبانه ، انهما يحملان جواز سفر رومانى ، ورومانيا تعتبر رسميـا من وجهـة النظـر الامريكية ، دولة معادية . واذن يجب ان يعامل تريان وزوجه معـاملة رعايـا الاعداء وان يسجنا ، ولا يسعنى هنا الا الاعجاب بالطريقة التى جاء التحليل الجدلى الذى كان عدد كبير من المفكرين قصيرى النظر يعتقدون الى وقت قريب انهم واجدون فيه الاداة الذهنية الممتازة ، يضع نفسه بها فى خـدمة الزيـغ والضلال ، انه آلة يمكن استعمالها كما يراد ككل الآلات الاخرى . اما الفكرة الحقيقية فانها شيء آخر . سألت نورا : (كم من الوقت ينبغى لهم ليعرفـوا انهم أوقعونا وانهم يحتفظون بنا فى السجن ؟ اننى لا استطيع الاحتمال اكثر من ذلك !) فيقول تريان : (انهم لن يشعروا ابدا بوجودنـا . ان الحضـارة الغربية فى مرحلتها التقدمية الاخيرة لم تعد تأبه بالفرد ، ولا شيء يدعونا الى الامل بانها ستأبه له يوما ، ان هذا المجتمع لا يعرف الا بعضا من المقـاييس الفردية . اما المخلوق الكامل ، بصفته الشخصية ، فانه لا وجـود لـه فى نظره ... انت مثلا ، لست الا مواطنة عدوة أوقفت فى ارض المانية ، هذه هى أقصى ما يستطيع المجتمع (الغني) الغربى ان يتخيله عنـك ... ان هـذا المجتمع عندما يوقف أو يقتل أحدا ، لا يوقف أو يقتل شيئا حيا ، بل فكرة ،

رمزا ، وفى المنطق الصحيح لا يمكن أن تعزى اليه هذه الجريمة. لان اية آلـة لا يمكن اتهامها بارتكاب جريمة . ولا يمكن لأحد أن يطـالب آلـة بمعـاملة الانسان حسب مميزاته الشخصية ... كل ما أعرفه هو أن اصطناع الانسان للقوانين والمقاييس (الاصطلاحية) وهى مقاييس ممتازة فيما يتعلق بالآلات انما يعادل جريمة قتل . ان انسانا يضطر الى الحياة فى الشـروط والـوسط التى تحيا فيها الاسماك يموت خلال دقائق . والعكس صحيح . لقـد خلـق الغرب مجتمعا مشابها للآلة ، انه يرغم بني الانسـان على العيش فى صميـم هذا المجتمع ويضطره الى الانسجام مع قوانين الآلة ، ومتى بلغ بنو البشرفى تشبههم مبلغ الآلات حتى يماثلوها ، فعندئذ لن يبقـى بشـر فوق سطـح الارض) .

انهـم جنـس فـاسـد :

يرى هنا ان (الساعة الخامسة والعشرون) تشبه نهاية ايروهون لصامويل بوتلر . لكن بين الكتابين فارقا يسمح بتقدير المرحلة المنقضية خلال أقل من من قرن فحيث كان ايروهون لونا من نظام محال خيالى من طـراز جوليفـر مثلا ، لا يمكن لشيء ان يكون أقل محالا وخيالا من رواية السيد جيورجيو . هذه القصة ، قصة ايوهون موريتز الذى ظل يرسم على التوالى يهوديا بينمـا هو آري فى حقيقته ، ثم آري صحيح ومن عرق السادة العظام ! ثم يعامل بعد ذلك من قبل الحلفاء معاملة صديق فمعاملة عدو دون ان يؤخذ بعين الاعتبـار نوعه وكونه وكيانه الشخصى ، هذه القصة ، قصة المجانين التى دبجها مدون مدقق منصف بكل امانة ، تبدو وكأنها التعبير الحرفى عما سيبلغ اليه حـال الانسان فى عالم يتنكر له . ولكن أى عالم هو هذا ؟؟ وممن كون وأقيم ؟ انه عالم يسعى (المواطنون) فيه الى الحلول محل الانسان ، (ان ــ المواطنين ــ لا يعيشون فى الغابات ولا فى الادغال ولكن فى المكاتب . ومع ذلك فانهم أشـد قسوة من وحوش الادغال . لقد نسلوا من اندماج الانسان بالآلات انهم جنس فاسد ، انهم أقوى عرق على سطح الارض حاليا . ان وجـوههم تشبـه وجوه الانسان بل وان المرء ليخلط غالبا بين الانسان وبينهم . لكنه لا يلبث بعد حين ان يعرف انهم لا يتصرفون تصرف بني الانسان ولكن تصرف الآلات . ان لهم مقاييس زمنية بدلا من القلوب ... هؤلاء هم المواطنون ... نشء غريب ، لقد اكتسحوا كل الارض) .

لست واثقا حقا من ان التحليل قد بلغ هنا غاية القصد ، فلكى تفهم هذه الصورة الانتقالية او الميتاستازية ــ اذ لا شيء أكثر تناسبا مع المقام من هذا

التعبير المأخوذ عن علم الانسجة العضوية (الهيستلوجيا) والذى يقصد به تحول مركز الارض - لا بد من اقحام بسيكلوجية شيللر حول تجدد الشعور : فاذا كان المواطنون فى الديمقراطيات الشعبية ، كما عرفناهم فانهم ليسوا آلات . بل انهم يهدفون الى الحلول الى (ادنى من الانسان) تصبح كراهية التفوق ، على اختلاف ألوانه ، مبدأ حيويا عندهم ، أما هنا ، فان الامر يتعلق بحياة مرذولة ذليلة ، حياة تناهض كليا الحياة الحقيقية . أى انها ضد الخلق والحب .

الساعة الاخيرة :

قلت فى مستهل هذه المقدمة ان ظهور هذا الكتاب لاول مرة باللغة الفرنسية يبدو لى مغبطا ، ذلك لان فرنسا ، لاسباب تاريخية وجغرافية معا ، كائنة فى النقطة المحكمة التى جاء السؤال الرهيب الذى طرحه السيد جيورجيو يمثل أقصى حدته المأسوية . ان تأييد ثقافتنا الفكرية ثقافة مدعومة من حيث المبدأ ضد مثل هذه الاباطيل . فمونتينى وديكارت وباسكال حتى فولتير أو معاصرونا أمثال بيجى ، وفاليرى ، وكلهم جاءوا من أقاصى الآفاق الفكرية المتضادة ليتحدوا ضد هذا الخطر المريع . مع ذلك ينبغى الاعتراف باننا نرى هذا الخطر القائم يزداد تجسدا كل يوم وخطورة هنا حيث الافراط فى اعادة تنظيم الامة مبدأ منبوذ أصلا ، فهنا أكثر من أى مكان آخر ، يحدث الصراع بين الرجل الحقيقى ومن - ليسمح لى بتسميته - بالرجل الورق ، خسرانا كثيبا . لذلك فان كتاب السيد جيورجيو يأتى فى وقته ومحله . أتمنى أن يقرأ بشغف وان يفسر بشغف من قبل اشخاص افاضل أمناء كى لا يلجأ الى حمى تلك الفكرة السهلة القائلة : إن كل ما جاء فى الكتاب انما وقع بعيدا عنا فى رومانيا وفى المانيا ، وما يزداد وضوحا باطراد - وما لا يضاهى فى أهمية الاشارة اليه - ان هذه التركيزات الموضوعية فقدت اليوم معناها الواقعى : ان ما يحدث على بعد ثلاث آلاف كلمتر من حدودنا يحدث عندنا كذلك . والفرق بين هنا وهناك فى طريق الزوال ، ان المأساة البشرية متشابهة فى كل مكان !.

ويتساءلون : لم الساعة الخامسة والعشرون ؟ انها تلك التى تأتى بعد الساعة الاخيرة ، انها - وسأورد النص حرفيا - تلك التى لا يحل مجيء مسيح فيها شيئا . لان مجتمعا محولا الى تيكنكراتية (بين البيرقراطية والتكنيكية)

لا يستطيع ان يخلق روحا ، فهو بالتالي مجتمع بين يدى وحوش ـ لا شك انه يجوز لنا ايجاد مثل هذا التشاؤم المفرط ! اننى من أولئك الذين يؤمنون بأن معجزة كهذه ممكنة دائما طالما بقي من المخلوقات البشرية من يفكر ويضرع . ولكن متى عرفنا ماذا يحدث في موطن السيد جيورجيو ، متى عرفنا التدابير المجردة عن الانسانية باطراد التى يخضع لها الملايين والملايين من البشر ، استحال انكار مثل المخاوف التى لا يمكن تجنب التشاؤم الغريزى فيها ، ترى هل يجب ان نفضل عليها موقف أولئك الذين ياوذون بأمل الاصلاح عن طريق الحرب ، وكانه ـ بعد تجارب الثلث المنصرم من هذا القرن ـ لا يزال يسمح الاعتقاد بأن الحرب يمكن أن تؤتى خيرا ؟!.

على كل حال ، لا ينوه الكاتب بشىء عما ستتناوله الحرب التى قد تكون فى دور التهيؤ . انها لا تشتعل الا فى نهاية كتابه . وفيما يلي أقوال زوجة تريان الذى قتله منذ شهور حارس المعسكر الذى كان نزيله : (هـذه الحـرب ... ليست حرب الغرب ضد الشرق ... انها ليست الا ثورة داخلية فى نطـاق المجتمع الآلى الغربى ... ان روسيا بعد الثورة الاشتراكية ، أصبحت الفرع الاكثر تقدما من فروع الثورة الغربية الآلية ... لقد نقلت روسيا كل نظرياتها عن الغرب ، وكل ما عملته انها وضعت تلك النظريـات موضـع التنفيـذ ، لقد حولت الانسان الى صفر كما تعلمت من الغرب ... لقد قلدت الغرب كما لا يستطيع ان يحاكيه الا البربرى المتوحش) وعلى هذا ، فان هذه الحرب ليست الا ثورة داخلية على المجتمع الغربى وهى اذن ليست مهيأة فى صالح البشر ، وكل ما استطيع اضافته الى هذا القول : إنه يمكن التقبل نظريا ، بأن الرجال الحقيقيين بوصفهم هذا ، قد يستطيعون الافادة من هذا اللـون من افنـاء الاخ لاخيه . لكن هذه فى الحقيقة ليست الا حلا شفهيا لان الرجال فى الواقع اقرب الى أن يؤخذوا ويسحقوا فى هذا الاعصار الهائل من ان يفيدوا منه . فهـل يجب الركون الى الامل الذى اختص به أبو تريان ، القس كوروغـا : (وفى النهاية ، يشفق الله على الانسان كما قال من قبل مرات عديدة ، كما حـدث فى سفينة نوح فوق الامواه ، فيطفو ذلك البعض من بني الانسان الذين ظلوا على انسانيتهم ، فوق دوامـات ذلك الخـراب الجمـاعى الهـائل ؟! ان هـذه الكلمة هى الاشعاع الوحيد الضئيل الذى يلتمع فى ثنايا هذا الكتاب اليائس العظيـم .

ومهما بلغ تفاوت الاسلوب بين هذا الكتاب (الساعة الخامسة والعشرين) وبين كتاب رومانى شاب آخر هو السيد سيوران بعنوان (موجز التفسخ)

الذى سيظهر خلال أسابيع قليلة والذى يشبه مثالا لليأس ، فانه لا يسعنى الا التقريب بينهما ، ونحن الذين نجونا مؤقتا ـ ولعه لوقت جد قريب ـ نحن مدعوون الى اعارة مثل هذه الشواهد التى تشبه اعماق جحيم انسانية معذبة اذنا شديدة الوعي والرأفة (2) .

أخيرا ـ بعد ان أتيت على ذكر ماكتبه الاستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، وكذلك مقدمة المترجم الاستاذ فائز كم نقش من الفرنسية الى العربية ، وأيضا ما كتبه السيد جابرييل مارسيل مترجم الرواية هذه الى اللغة الفرنسية ، اترك القارىء الكريم لفرصة ربما ستسنح له للاستمتاع الشيق واللطيف بمطالعة هذه الرواية التى كان بطلها موريتز قد عاد الى بيته بعد ان غاب عنه ثلاثة عشر عاما . كان أول يوم منها غلطة من رئيس مخفر ، ثم استمرت الغلطة تتابع آليا بفعل الحضارة الآلية ثلاثة عشر عاما ...!!!

رمـزي الحاج عقـرواي

« قصارى ما أتمناه ، أن يجتنب الأفارقة الوقوع فى هفوات الأوربيين بدءا من سنة 1789 فلا ينفصموا عن جذورهم التاريخية ولا يتصوروا بمقولات إديلوجية المجتمع الفاضل الذى يرومون بناءه ، ألا إن الامتداد التايخى أمر أساسى » .

كلود لفي ستراوس
عالم أجناس ـ أستاذ شرفي
بكوليج دي فرانس

---

(2) الطبعة الاولى 1953 والطبعة الثانية 1956 والطبعة الثالثة 1966 / ملتزم الطبع والنشر ـ دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر ـ دمشق.

لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

نظم : عبد الله الزناد

ثلاثةٌ ترافقُوا وليتهم تصادَقُوا
ظَواهرٌ سليمَهْ بواطنٌ أليمَهْ
وصحبةٌ في الظاهرْ وغدرُهم يخامرْ
وَهَيَّأوا الرحالا ليغنموا الاموالا

* * *

فاكتشفُوا ذخيرهْ أموالُها كثيرهْ
والذهب الرنّانْ يطغى به الإنسانْ
فاستخرجوه فورا مُبَيِّتينَ الغَدْرَا

* * *

وأرسلُوا همامَا يبغي لهم طعامَا
مُطَيَّبا شَهِيّا ومشربا رَوِيّا
بعدَ التزامِ الجوعِ في سائرِ الربوعِ

* * *

وافاهُمُ يَسُمُّ وفي الطعام السُمّ
قَصْدَ امتلاكِ الكنزِ منفرداً بالفوزِ

* * *

لكنّ صَاحبيْه   تآمرا عليْه
وانتظرا حتى وَصَلْ   فاستأصَلاَهُ عن عَجَلْ
كي يَحْرِمَاهُ سَهمَهْ   ويظفرَا بالقسْمَهْ

* * *

وأسرعَا للأكلِ   بِنَهْمٍ وَجَهْلِ
سمٌ مضى في الحِينِ   قَضَى على الإثنَيْنِ

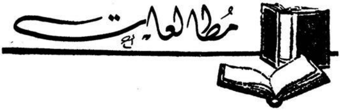
* * *

وهكذَا الشيطانُ   يشقَى به الإنسانُ
والغدرُ شرّ شيمَهْ   آثارُه وخيمَهْ

* * *

أياكمُ والمَكْرَا   حتى تنالوا الأجْرَا

عبد الله الزناد



موجز طرق التقاضى والاستخلاص الجبرى
فـى اداءات الـدولـة

تأليف : **عبـد اللـه هـلالى**
عرض : **محسن بن حميـده**

صدرت بتاريخ نوفمبر 1982 الطبعة الاولى لكتاب للسيد **عبد الله هـلالى** بعنوان : « **موجز طرق التقاضى والاستخلاص الجبرى فى اداءات الدولة** » عن التعاضدية العمالية للطباعة والنشر وهو من حجم 16/24 فى **405 صفحات** .

وهو أول عمل فى الموضوع يلم شتات القوانين الجبائية ويعطى صـورة واضحة دقيقة للقضاء الجبائى التونسى ، ومع أن الكتـاب يتنـاول مادة من أصعب المواد مراسا وأشدها تعقدا وأوسعهـا تشعبـا وأكثرهـا استعصـاء لانتمائها الى ميدان الاختصاص الخاص وندرة المراجع وقلة التداول فانـه لا يمكن أن يستغنى عنه أى صنف من رجال القضاء قضاة كانوا أو محامين أو اداريين ماليين أو عدول منفـذين أو أساتـذة حقوقيين وطلبـة أو دارسين وباحثين وحتى مجرد مواطنين اذ أنهم كلهم خاضعون لاحكامها ومنضوون فى تيسير معاشهم وادارة أموالهم تحت لوائها من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

وبعد مقدمة فى الاجراءات الجبائية بصفة عامة ينقسم الكتـاب الى ستـة أبواب هى الآتية :

1. **الباب الاول فى الاستخلاص الجبرى** بما فى ذلك الاحكام العامة ومختلف أنواع العقل والاجراءات الخاصة بها وغاية تنفيذها والنتائج المترتبة عنهـا من بيوعات مع شروطها .

2. والباب الثاني في الامتياز بما في ذلك من نظرة عامة للامتياز بأنواعها العامة والخاصة : الامتياز العام الراجع للخزينة والامتياز الخاص لفائدة الخزينة .

3. والباب الثالث في التقادم عمله ومدده .

4. والباب الرابع في مقاضاة الدولة .

5. والباب الخامس في المحاكم الجبائية بأنواعها واختصاصاتها والاجراءات فيها والاعتراض والاختبار وبالخصوص اللجان الخاصة بالتوظيف .

6. والباب السادس في الاحكام الخاصة بأنواع معينة من الاداءات بما في ذلك الاداءات القارة والاداءات غير القارة والانواع الاخرى من المعاليم .

ويختم الكتاب ملحق في بيان النصوص القانونية المعتمدة في انجاز الكتاب وقائمة مراجع عربية وفرنسية .

ومع العلم أن الكتاب يسد فراغا في المكتبة القضائية التونسية عساه أن يكون منطلقا لبحوث ودراسات ثرية في نفس الموضوع .

الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون

المجابهة الجدلية (1492 ـ 1640)

ـ تقديم وتعريب : **عبد الجليل التميمي**

ـ تاليف : **لوي كردياك**

ـ عرض : **محسن بن حميده**

هي رسالة أطروحة أحرز بها الاستاذ لوي كردياك (Louis Cardaillac) على دكتوراه الدولة من جامعة تولوز بجنوب شرقي فرنسا .

والكتاب هو النص العربي للاطروحة من تقديم وتعريب الدكتور عبد الجليل التميمي الاستاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية ومدير المعهد الاعلى للتوثيق وهو من منشورات 1983 « المجلة التاريخية المغربية »

التى أنشأها ويديرها الاستاذ التميمى وبالاشتراك مع « ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر » .

ومن أهم اختصاصات الاستاذ التميمي واهتماماته الموريسكيون تعرفا عليهم وتعريفا بهم فى شتى علاقاتهم بالعالم العربى والتركى والاسبانى ، وتعريبه لكتاب الاستاذ كردياك يدخل فى إطار هذه الاهتمامات فى التعريف بالمجابهة الجدلية فى الفترة المؤلمة جدا لتاريخ الاسلام الغربى على امتداد قرن ونصف ابتداء من انهزام العرب المسلمين بالاندلس فتعرضهم لشتى وسائل الطرد والتهجير والتنصير والتنكيل والتعذيب والاطروحة تشمل أساسا ثلاثة فصول :

الفصل الاول فى المجابهة من خلال الحياة اليومية .

والفصل الثانى فى الموريسكيين ودواوين محاكم التفتيش .

والفصل الثالث فى الموريسكيين والبروتستان .

هذا والجدير بالذكر أن عمل الاستاذ كردياك من أهم الوثائق فى الميدان وسيبقى مرجعا هاما له مع أبحاث الاستاذ التميمى لكل ما سينجز مستقبلا فى تاريخ تلك الفترة الزمنية وما بعدها .

كما يشتمل الكتاب على تعريف لبحث للاستاذ كردياك أيضا فى « قضية الموريكسيين بأمريكا » وهو هام جدا لانه يبين لنا كيف أن الاسبان والبرتغاليين حاولوا فى أمريكا لا مجابهة الموريسكيين واضطهادهم وحرمانهم من أبسط الحقوق فقط بل قطع الطريق لمنع ظهور قضية موريسكية بأمريكا مماثلة لما كانت عليه باسبانيا لكن جميع جهودهم كان مآلها الخيبة .

وفى القسم الاخير من الكتاب الذى لا يقل عن 25 صفحة فهارس هامة نقحها الاستاذ التميمى وأعادها تفصيلا وتمييزا بعضها عن بعض طبقا للقواعد العلمية المتبعة اليوم فى الفهرسة قصد تقريب المعلومات المتوفرة للباحثين وسرعة الرجوع اليها — مع مراجع شاملة ضافية .

أصداء الفكر

● مجلة « الفكر » فى معرض طرابلس :

نظم المركز الثقافى التونسى أخيرا بطرابلس (ليبيا) معرضا للمجلات التونسية بمناسبة مرور ثمان وعشرين سنة على صدور أول عدد من مجلة « الفكر » وقد اشتملت هذه التظاهرة على :

① إقامة معرض وثائقى عن المجلات التونسية منذ عهد الاستقلال (56 – 1983) .

② عقد ندوة علمية عن المجلات والصحف بتونس كانت « الفكر » فى هذه الندوة محور الحديث باعتبارها رائدة المجلات التونسية استمرارا ودفعا للحياة الثقافية فى ربوعنا الخضراء .

وقد اشتمل المعرض على تسعة أجنحة هى :

① جناح طلائع المجلات وهى ثلاث مجلات تونسية صدرت فى مطلع القرن الحالى وهى مجلة : « السعادة العظمى » أصدرها الشيخ محمد الخضر حسين سنة 1904 . ومجلة « تحقيق الأمل » .

② جناح لمجلة « الفكر » مع فهارس لها صدرت فى عيدها الفضى ونخبة من أعدادها الخاصة والممتازة .

③ جناح المجلات العلمية والجامعية والحوليات .

④ جناح المجلات الثقافية والادبية والاسلامية .

⑤ جناح المجلات السياسية والاقتصادية .

⑥ جناح المجلات الفنية والنسائية والسياحية .

⑦ جناح لمجلات الشباب والرياضة والكشافة والاطفال .

⑧ جناح للمجلات التونسية الناطقة بالفرنسية .

⑨ جناح لما كتب عن الدوريات التونسية من دراسات وفهارس .

وقد ارتاد هذا المعرض عدد كبير من الطلبة والاساتذة التونسيين والليبيين.

● ندوة همبورغ للحوار الثقافى العربى الاوربى :

انتظمت هذه الندوة خلال شهر أفريل 1983 بهمبورغ وكان حضرها الدكتور محيى الدين صابر المدير العام للالكسو والامين العام لجامعة الدول

العربية ورئيس وزراء المجموعة الاقتصادية الاوربية وغيرهم من الشخصيات العربية والاوربية البارزة .

وتركزت الندوة على عرض الدراسات المقارنة حول الموضوعات التى اعدت للندوة واشترك فى مناقشة هذه الدراسات والتعقيب عليها نخبة من المفكرين والى جانب الندوة كانت هناك جلسات عمل فى صلب لجان تناولت قضايا معينة مثل التعاون الثقافى العربى الاوربى ومؤسساته واساليبه وبرامجه واللغات العربية والاوربية وتعليمها ومن جهة اخرى تم خلال الندوة تنظيم لقاءات اعلامية كثيرة وهامة مع الصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية وقد نوهت كل هذه الاجهزة الاعلامية بدور الثقافة العربية بصفة عامة فى توطيد العلاقات بين الشعوب وتمخضت ندوة هامبورغ عن توصيات هامة. ومن المنتظر ان يجتمع الجانب الاوربى لتقويم ودراسة هذه التوصيات والمقترحات خلال الايام القليلة القادمة . وكذلك هو الشأن بالنسبة للجانب العربى .

وبخصوص التوصيات والمقترحات التى انبثقت عن ندوة هامبورغ تتمثل فى :

ـ انشاء مؤسسات ثقافية وعلمية مشتركة .

ـ القيام بنشاطات فكرية ثقافية واقامة المعارض والفرق الفنية وتبادل الاساتذة والمحاضرين .

ـ العمل على اقامة علاقات ، بين مختلف التنظيمات الثقافية والفكرية والمهنية العربية والاوربية مثل اتحاد الجامعات واتحاد الكتاب والادباء .

ـ التفكير فى بعث دور نشر مشتركة الخ ...

● **مهرجان المناجم بالمتلوى فى دورته الثانية :**

بمقر دار الثقافة بالمتلوى انعقدت جلسة عمل للنظر فى اقامة مهرجان المناجم بالمتلوى خلال شهرى جويلية وأوت 1983 .

وقد انتظم المهرجان الاول خلال جويلية 1982 تحت اشراف اللجنة الثقافية بالمتلوى ولاقى نجاحا هاما باعتبار مشاركة الطلبة من ابناء الجهة فى تظاهراته الثقافية لدى عودتهم لقضاء العطلة الصيفية هناك .

● **معرض كتاب الطفل :**

نظم مركز الفن الحر بالبلفدار معرضا هاما لـ « كتب الاطفال » الصادرة عن الدار العربية للكتاب .

وقد افتتح المعرض مساء يوم الخميس 1983/6/11 الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية بتونس .

واستمر المعرض الى نهاية يوم 13 جوان 1983 . والملاحظ أن هذه البادرة تعتبر مشجعة لادب الطفولة ببلادنا ويا حبذا لو تقيم بلديات المدن التونسية ومؤسساتها الثقافية ودور الشعب والشباب بها مثل هذا المعرض لتقريب الكتاب من يد الطفل وتحسيس الاولياء بذلك الغذاء العقلي المفيد لابنائهم .

● **تصحيحات على كتاب النمر والثعلب :**

ورد الى المجلة تصحيحا من الدكتور المنجي الكعبي حول كتاب النمر والثعلب نص جاء فيه ما يلي :

« صحح الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي في عدد حوليات الجامعة التونسية الجديد 1983 ما وقف عليه من أخطاء في كتاب النمر والثعلب بتحقيق الاستاذ الدكتور عبد القادر المهيري المنشور سنة 1973 .

ووجد الاستاذ المهيري من المفيد في النشرة نفسها تذييل تصحيحات الاستاذ العراقي بموافقاته ومخالفاته على تصحيحاته دون ان ينتبها ــ كلاهما ــ وينبها الى أن النص حظي منذ اكتشافه ونشر فقرات منه سنة 1964 بتصحيحات عديدة ومختلفة عليه من قبل الدكتور عثمان بوغانمي باحدى صحفنا التونسية والدكتور شوقي ضيف في كتابه الادب العربي في العصر العباسي ، وأخيرا صاحب هذا التعليق في سلسلة مقالات بجريدة «الصباح» ثم خصه هو نفسه بنشرة كاملة سنة 1979 مع فهارس ومقارنات وكذلك دراسة في كتاب مستقل عن حياة مؤلفه وأدبه .

والعلم بذلك والاعلام به يجعل الانصراف الى تصحيح التوقعات البيانية رغم ذلك في الكتاب أفضل من تصحيح التصحيحات المصححة » .

● **ملتقى الفلسفة والتراث :**

بالتعاون مع اللجنة الثقافية القومية عقدت « الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية » ندوة هامة على مدى يومين من شهر ماي 1983 بالمركز الثقافي الدولي بالحمامات وحضر هذا الملتقى ثلة هامة من الدكاترة والاساتذة التونسيين كما حضر الندوة من الضيوف العرب كل من الاستاذ جمال الدين العليوي رئيس قسم الفلسفة بجامعة فاس بالمغرب والاستاذ أحمد الجبار من الجزائر والملاحظ أن الجمعية الفرنسية للدراسات الفلسفية تأسست حوالي سنة 1980 ولها أربع فروع بكل من صفاقس وبنزرت وقابس وقفصة ولها خلايا كثيرة للبحث والترجمة وهدفها تدعيم تدريس الفلسفة في المدارس الثانوية ومختلف الكليات وتوحيد طرقها بين وزارة التربية القومية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي وأساتذة الجامعة وهي تقوم بمحاضرات حول قضايا الفلسفة وتعد مجلة فلسفية ستصدر قريبا .

وقد اختتم الملتقى السيد وزير الشؤون الثقافية الاستاذ البشير بن سلامه رئيس تحرير مجلة « الفكر » بكلمة حول « الجمع بين التفتح والاصالة » وقد بين فيها مدى خطورة الرسالة التى يتحملها الفيلسوف والمفكر والاديب ودورهم المتكامل لتغيير المجتمع باتجاه الافضل واستجلاء طريق جديد يكون به خلاص الانسان ونجاته من الخطر الذى يتهدد عالم اليوم هذا بصفة عامة وبصفة خاصة تكون على يديه استجلاء طريق الوصول الى حل القضية الكبرى التى لم تفتأ الامة العربية تتخبط فيها وهى قضية البحث عن الذات وخط الطريق الموصل الى ركب الحضارة خاصة بعد الاستقلال وبعد الحروب العالمية عندما وجد العالم الثالث نفسه أمام اختيارات عديدة ووجدت الامة العربية نفسها مهددة بضياع كيانها وتراثها .. فأخذت تبحث عن مسلك يخرجها من هذه الازمة .

● **منتدى الفكر العربي :**

فى مارس عام 1981 وبناء على دعوة سمو الامير حسن بن طلال ولى عهد المملكة الاردنية الهاشمية اجتمعت نخبة ممتازة من قادة الفكر والتنمية فى الدول العربية فى مدينة العقبة بجنوب الاردن لبحث الحالة الراهنة فى العالم العربى وامكاناته المستقبلية على الصعيد الدولى .

قرر المفكرون المجتمعون فى مدينة العقبة انشاء « **منتدى الفكر العربى** » ومن أهدافه :

1 – بلورة الفكر العربى المعاصر وتطويره ونشره .

2 – دراسات العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافة فى الوطن العربى ومع مجموعات الدول الاخرى قصد تعزيز الحوار وتنشيط التعاون .

3 – بلورة النظرة العربية نحو مشكلات التنمية .

4 – بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعى القرارات فى الوطن العربى والجماهير الشعبية المشاركة فى تنفيذها .

وفى إطار هذه الاهداف تبنى المنتدى برنامج عمل مباشر احتلت الاولوية فيه المواضيع التالية :

1 – الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية وتحدياته المختلفة والمتواصلة للامة العربية .

2 – خطة العمل المشترك للاسراع بالتنمية العربية وتنفيذ مشاريعها .

3 – الامن الغذائى بزيادة الانتاج والاعتماد الذاتى الجماعى والتعاون المتبادل فى اطار الحوار (شمال جنوب – جنوب جنوب – عربى أوربى) .

4 – السياسة العلمية العربية والتكنولوجيا .

ويتألف المنتدى من الهيئات التالية : الهيئة العمومية ـ مجلس الامناء ـ لجنة الادارة ـ الامانة العامة ـ الجهاز التنفيذي . ومجلس الامناء الحالي وهو الهيئة العليا للمنتدى تتركب ولمدة ربع سنوات من 23 عضوا على رأسهم الامير حسن بن طلال ولي عهد المملكة الاردنية الهاشمية ويمثل فيه تونس الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول للجمهورية التونسية ومدير مجلة « الفكر »

واليكم فيما يأتي قائمة أعضاء هذا المجلس .

الرئيس : ـ 1 ـ سمو الامير حسن بن طلال ولي عهد المملكة الاردنية الهاشمية .

نواب الرئيس : ـ 2 ـ السيد عبد اللطيف الحمد (الكويت) ـ 3 ـ السيد يوسف الشيراوى (البحرين) ـ 4 ـ الدكتور علي عتيقة (ليبيا) .

الاعضاء : ـ 5 ـ السيد الاخضر الابراهيمي (الجزائر) ـ 6 ـ الدكتور شفيق الاخرس (سوريا) ـ 7 ـ الدكتور محمد الامام (مصر) ـ 8 ـ السيد برهان الدجاني (فلسطين) ـ 9 ـ السيد احمد الدعيج (الكويت) ـ 10 ـ الدكتور عبد الحسن زلزلة (العراق) ـ 11 ـ السيد الياس سابا (لبنان) ـ 12 ـ الدكتور خليل السالم (الاردن) ـ 13 ـ الدكتور لبيب شقير (مصر) ـ 14 ـ الدكتور محيي الدين صابر (السودان) ـ 15 ـ الشيخ علي خليفة الصباح (الكويت) ـ 16 ـ الدكتور يوسف صايغ (فلسطين) ـ 17 ـ السيد زين العابدين العلوى (المملكة المغربية) ـ 18 ـ الدكتور محمد العمادى (سوريا) ـ 19 ـ الدكتور جواد العناني (الاردن) ـ 20 ـ السيد سعيد غباش (الامارات العربية المتحدة) ـ 21 ـ السيد محمد مزالي (تونس) ـ 22 ـ الدكتور محمد سعيد النابلسي (الاردن) ـ 23 ـ الدكتور جواد هاشم (العراق) .

بهذا العدد

تختم « الفكر » سنتها الثامنة والعشرين وتدخل في اجازة الصيف راجية لقرائها عطلة سعيدة والى اللقاء في مستهل أكتوبر 1983 .